كانو الثقافية

العدد الثاني
محرم ١٤٣١هـ
ديسمبر ٢٠٠٩م

مجلة ثقافية نصف سنوية – تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو

ان هذا المشروع سيؤدي إلى حرب ليس بين اليهود والفلسطينيين فقط وإنما بين اليهود أنفسهم
.. د. أحمد الريماوي

٢. نريد فناً معمارياً ليس منقولاً ولا مستوراً وإنما ينبع من منطقتنا العربية ومن البيئة العربية الإسلامية..
د. عبد اللطيف جاسم كانو

أحمد زويل: لقد صرت فخورا بانتمائي لهؤلاء العظماء..
أ. محمود السيد أبو مسلم

الأزمة الاقتصادية العالمية
الأسباب والتوصيات
د. عدنان بسيسو..

بسم الله الرحمن الرحيم

كانو الثقافية

مجلة ثقافية نصف سنوية تأسست عام 1429هـ – 2008م
تصدرها جائزة يوسف بن أحمد كانو بمملكة البحرين
العدد الثالث – شعبان 1431هـ – يوليو 2010م

المشرف العام
أ.عبدالعزيز بن جاسم كانو

هيئة التحرير

رئيس التحرير
د. سعيد بن عطية أبو عالي

نائب رئيس التحرير
د. عبداللطيف بن جاسم كانو

مسؤول التحرير والعلاقات العامة
أ.مبارك بن سعد العطوي

جميع المراسلات بأسم رئيس التحرير

ص.ب: 1170
المنامة – مملكة البحرين

هاتف
+ 97317226153

فاكس
9731717226154
البريد الإلكتروني
kanooawd@batelco.com.bh

الموقع الإلكتروني
www.ybakanooaward.com

جرافيكس
الرافد للإعلان والعلاقات العامة
+973 39139122

المؤسسة العربية للطباعة والنشر
رقم التسجيل: SYKCO 786

قواعد النشر

- غايتنا المساهمة في تنمية الإبداع والثقافة والتقدم العلمي .
- المجلة ترحب بالبحوث والدراسات في جميع المجالات العلمية والأدبية والاقتصادية.
- تحتفي أيضاً بالموضوعات المتعلقة بالطب ومجالات التقنية والمعلومات إلى جانب الدراسات المستقبلية .
- الخرائط التي تنشر بالمجلة توضيحية وليست مرجعاً للحدود الدولية.
- البيانات والإحصاءات تقريبية .
- المجلة لا تلتزم بإعادة المواد التي تتلقاها للنشر .
- ما ينشر يعبر عن رأي الكاتب ولا يعبر عن رأي المجلة .
- يجوز الاقتباس ممّا ينشر شرط الإشارة إلى المجلة ورقم العدد وتاريخ الإصدار ، وإلا اعتبر خرقاً لقانون الملكية الفكرية .
- يرسل الكاتب عنوانه كاملاً ، وسيرته الذاتية إذا كان يكتب لأول مرة في هذه المجلة.

المجلة ترحب بكل نقد وتوجيه واقتراح

- يسعدنا أن نتلقى رسائلكم بواسطة البريد أو على جهاز اللاقط (الفاكس) أو على البريد الإلكتروني .

وللجميع شكرنا وتقديرنا ،،،

هيئة التحرير

المحتويات

فكر وثقافة

– بطولة الحرية	8 – 7	إدارة التحرير
– المشترك الإنساني بين الأوطان والشعوب	12 – 9	د. سعيد بن عطية ابو عالي
– قدس الثقافة العربية	19 – 15	تأليف : نخبة من الباحثين الأجانب والعرب – عرض : جاك صبري شماس

وثائق ودراسات

– ميثاق العمل الوطني ..وثيقة عهد بين الملك وشعبه	27 – 21	د. عبداللطيف بن جاسم كانو
– ملامح الحياة داخل القصر السلطاني العثماني	49– 29	د . فايز الربيع
– المواطنة بين الحقوق والواجبات	67 – 51	د.بسام البطوش

البحث العلمي

– النقد الإسلامي للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان	79– 69	الدكتور عبد الرحمن الحاج

دراسات اقتصادية

– جنوب أفريقيا وكأس العالم لكرة القدم 2010.. مكاسب اقتصادية	103 – 81	د.أحمد العساف

دراسات علمية

– مفهوم المؤسسة الأدبية وشروطها	119 – 105	أ.د. عبد السلام فزازي

إضاءات

– أخبار وفعاليات	128-121	أ.مبارك العطوي

أدب

– صعود نحو العطش	131-130	د . نبيلة زّباري

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

صدق الله العظيم

رحيل عميد العائلة الوجية

عبدالله بن عبدالعزيز كانو

ودعت البحرين صبيحة يوم الأحد الثاني من شهر ذي القعدة ١٤٣١هـ الموافق ١٠ اكتوبر ٢٠١٠م عميد أسرة كانو الوجيه عبد الله بن علي كانو رحمه الله عن عمر ناهز (٨٣) عاماً كانت مليئة بالعمل والعطاء والإخلاص.. كان واحد من أبرز الشخصيات الاقتصادية في الوطن العربي حيث يمثل بعطاءه المميز نموذجاً متألقاً في إدارة الأعمال والاستثمارات.. حيث تشكل المؤسسات والشركات الاستثمارية والاقتصادية التي يرأسها دائماً مكانة متقدمة في الريادة والتنوع والتطور في الأسواق المحلية والعالمية.

رحيل عميد العائلة الوجيه عبدالله بن علي كانو

ولد الوجيه عبد الله كانو بمدينة المنامة بمملكة البحرين عام 1927م وكانت لنشأته بين الجيل الثاني من رجال العائلة الأثر الكبير في تعلمه فنون التجارة والإدارة حيث تشرب من خلال مسيرته الأولى أهمية الترابط العائلي وقواعد العمل التجاري بكل فنونه حيث كانت شركة يوسف بن أحمد كانو هي المدرسة الأولى التي تعلم فيها الأوليات الأساسية لصنع الفكر الاقتصادي والقيادة والمهارة.

وقد تلقى تعليمه الأولي حتى الثانوية في مدارس البحرين وسافر بعدها إلى بيروت ليلتحق بالجامعة الأمريكية حيث كانت الوصية الأولى للمؤسس المرحوم الحاج يوسف بن أحمد كانو أن يتم تعليم وتوفير كل الفرص الممكنة لبناء العلم والمعرفة لجميع أفراد وأبناء عائلة كانو.. وهي من الوصايا التي لاتزال عائلة كانو متمسكة بها ومستمرة في اتباعها ودعمها..

وبعد عودته من الدراسة التحق بالعمل لدى الشركة متنقلاً بين اقسامها المختلفة ومتدرجاً في المسئوليات والقيادة حتى اضحى مع مرور السنوات واحد من القياديين المميزين لمجموعة كانو.. وقد تم تعيينه رئيساً للمجموعة بعد وفاة شقيق الأكبر المؤسس الجديد للمجموعة المرحوم أحمد بن علي كانو في ثوبها الجديد وتنوعها في الأعمال والمشروعات المختلفة ذات الطابع التوسعي الكبير بحيث أصبحت المجموعة واحدة من أكبر المؤسسات التجارية العائلية على مستوى الخليج والوطن العربي.

كان ذلك في عام 1997م حيث استلم دفة القيادة بروح من التفاؤل والحماس.. حمل معه انجازات المؤسسين ونجاحاتهم ومسئولية المحافظة والاستمرار في التميز والنجاح.

كما رأس الوجيه عبد الله كانو العديد من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والخيرية بروح من الالتزام حيث كان لقيادته لمجلس إدارة بنك البحرين الوطني الفضل في المحافظة على تألق واستمرار نجاحه بالرغم من الأزمات والمتغيرات الاقتصادية المحلية والعالمية وذلك بفضل حكمته وصواب القرارات وايجابيتها التي كان يقف خلفها.

كما كان لقيادته لمجموعة كانو رحمه الله الفضل في إرساء القواعد العائلية من الثوابت في دعم خدمة المجتمع والاهتمام بالمشروعات الإنسانية والاجتماعية بمختلف فروع الشركة بدول مجلس التعاون الخليجية حيث انتشرت هناك العديد من المشروعات الطيبة من المراكز والمساجد والجوامع والقاعات المختلفة بين المناطق الحيوية في هذه الدول دعماً لاحتياجات الناس والمجتمع. لقد كانت حياته رحمه الله مسيرة من العطاء الجاد والمساهمة المميزة من أجل خدمة اهله ومجتمعه بحيث أصبح رمزاً للعطاء والإخلاص والإلتزام.

ومجلة كانو الثقافية إذ ترفع خالص العزاء والمواساة لجميع أفراد عائلة كانو الكرام وجميع أصدقاءه وأحبائه وفي مقدمتهم خلفه وصديق دربه الوجيه مبارك بن جاسم كانو والذي تم الاجماع عليه واختياره ليكون رئيساً للمجموعة وإلى الوجيه عبد العزيز بن جاسم كانو ليكون نائباً لرئيس المجموعة.

وأن ندعو لهما بكل التوفيق والسداد في السير بهذه المجموعة وقيادتها للمزيد من التطور والنماء والازدهار.. كما نخص بالتعازي أسرة الفقيد من أبناءه وبناته والله نسأل أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه وأن يلهم الجميع الصبر والسلوان.. وإنا لله وإنا إليه راجعون..

إدارة التحرير

■لقطة تـذكارية لعائلة كانو عند زيارتهم لجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة

■ المغفور له بأذنه تعالى في استقبال صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة

■ المغفور له بأذنه تعالى في استقبال صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة في حفل تكريم الفائزين بجائزة يوسف بن احمد كانو

■ لقطة تجمع بين المغفور له بأذنه تعالى في استقبال صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل والشيخ عبدالله بن خالد والاستاذ علي صالح الصالح

■ المغفور له بأذنه تعالى يسلم دعم عائلة كانو في بناء مكتبة مركز عيسى الثقافي

■ المغفور له بأذنه تعالى في حفل الإعلان عن جائزة يوسف بن احمد كانو للإبداع والتفوق

■ صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة في زيارة للمغفور له بأذنه تعالى في منزله

■ المغفور له بأذنه تعالى في زيارة لمدرسة كانو بمرافقة وزير التربية د.ماجد النعيمي

بطولة الحرية

"لايثق البعض في أفريقيا، وهذه فكرة خاطئة، فقد أعطت أفريقيا الكثير ليس لكأس العالم وحدها بل للعالم أجمع. ويوماً ما يجب أن يعود إليها شيئ ما. لذا ليكن هذا الشيء كأس العالم. دعونا نحتفل بأفريقيا" كان هذا ماقاله جوزيف بلاتر رئيس الاتحاد العالمي لكرة القدم (الفيفا) عندما تقرر إقامة بطولة (مونديال) كرة القدم لعام 2010م في جنوب أفريقيا.

كأن بلاتر يشير إلى أن افريقيا كلها وجنوب افريقيا وحدها أعطت للعالم معنىً جديداً للحرية واسلوباً جديداً للحصول عليها. قاوم المواطنون الجنوب أفريقيون السود سياسة الفصل العنصري بالعقل والمنطق. تحملوا في سبيل إرساء قواعد الحرية والمساواة أقسى صنوف المعاناة والعذاب. مكث زعيمهم ورمز نضالهم، السيد نيلسون مانديلا، في السجن خمساً وعشرين سنة لم يتزحزح عن موقفه في طلب الحرية لبني وطنه. خرج من السجن زعيماً لمواطنيه البيض كما هو في الأصل زعيماً لمواطنيه السود. أقام دولة ديموقراطية تسود فيها المساواة بين الأجناس والألوان؛ وتتحد فيها الإرادات للخروج بالبلاد من الفقر والتخلف إلى مجتمع يعمل من أجل كرامة العيش والسير نحو التقدم. سلاح الزعيم نيلسون مانديلا كان الإيمان والصبر والعلم. أعطى هذا السلاح لبني وطنه (بيضاً وسوداً) حتى استطاع هذا البلد بالعلم والتنظيم ودقة التنفيذ أن يقيم أكبر تظاهرة دولية تجمع بين شتات الأجناس والألوان واللغات.. وهكذا تصبح جمهورية جنوب أفريقيا الكاسب الأكبر وهي بهذا تمنح مكاسبها للقارة السوداء كلها.

بدأ الاستعداد لهذه الدورة في جنوب أفريقيا قبل سنوات، بنت الملاعب العملاقة الجميلة في مختلف المدن.. عبدت الطرق الحديثة.. أقامت

المطارات.. شيدت الفنادق.. دربت الشباب على الاستقبال وجميل التعامل مع المشجعين الذين أتوا من أنحاء العالم.. نظمت استقبال وإقامة رؤساء الدول والعلماء الفائزين بجائزة نوبل ومشاهير الرياضة والفن والإعلام والسياسة.. وأكثر من هذا هيأت شعب جنوب أفريقيا بكل فئاته للتفاعل الإيجابي مع هذا الحدث الذي سيقدم بلادهم إلى العالم في صورة جديدة. فخرجت البلاد بحسن قيادتها وتعاون شعبها لتفخر بنجاح البطولة (مونديال 2010م). إن كل من شاهد مباريات كأس العالم التي نظمت في جنوب أفريقيا على مدى شهر من الزمان (11 يونيو – 8 يوليو) وكل من حضر المباريات وجميع المفكرين والمثقفين والسياسيين في العالم يحيون جنوب أفريقيا وشعبها على النجاح الباهر الذي شهدته هذه الدورة.. دورة الحرية.

أقيمت البطولة لأول مرة في قارة أفريقيا وتحديداً في دولة جنوب أفريقيا ولأول مرة تفوز قارة أوروبا وتحديداً اسبانيا بالكأس خارج حدودها. وهذه الكأس (2010م) هي الكأس العاشرة للقارة الأوروبية في تاريخها وتتقدم بفارق لقب واحد على قارة أمريكا الجنوبية العتيدة.

شاركت القارات الست في هذه البطولة وبلغ عدد الفرق التي مثلت بلادها في المنافسة الكبيرة واحداً وثلاثين فريقاً من واحد وثلاثين بلداً ومن ضمن هذه الفرق منتخب عربي واحد هو منتخب الجزائر والذي لعب ثلاث مباريات تعادل في إحداها مع إنجلترا وخسر في مباراتين أمام كل من سلوفينيا وأمريكا بواقع 1/صفر في كل مباراة. خرجت الجزائر من الدور الأول والبطولة تميزت بخروج الكبار مما يعزي الجزائر.

أقيمت المباراة النهائية بين اسبانيا وهولندا مساء يوم الأحد 11 يوليو 2010م على ملعب سوكر سيتي. وصل إلى الملعب قبل المباراة النهائية الزعيم نلسون مانديلا رمز التحرير والحرية وحيا الجماهير وهو على عربة جولف غادر بعدها لمشاهدة المباراة في منزله مراعاة لظروفه الصحية.

فازت اسبانيا بالكأس لأول مرة في تاريخها أما هولندا فبقيت في المركز الثاني للمرة الثالثة وهكذا لم تفز بكأس هذه البطولة في تاريخها.

شاهد محبو كرة القدم مباراة تنافسية بين الفرق على مدى شهر كامل.. وقد شارك الحكم العربي السعودي خليل جلال الغامدي في تحكيم مباراتين وهو أول حكم سعودي يحظى بشرف التحكيم في مباريات كأس العالم.

فازت اسبانيا بالكأس وفازت جنوب أفريقيا بحسن التنظيم والإدارة ودقة التنفيذ. قدمت جنوب أفريقيا نفسها للعالم بلداً سياحياً يجيد تنظيم المؤتمرات والندوات والمنافسات العالمية، ويجيد أهلها التعامل الإنساني مع الناس.. كل الناس برغم اختلاف اللغات والثقافات والألوان.

إدارة التحرير

قبل ثلاثين عاماً.. كنا نتذكر المبادئ الكبرى عندما يذكر الوطن. الذي يضحي من أجل غيره، والذي يندمج في عمله لدرجة الإخلاص، والذي يؤدي واجباته تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه ندعوه مواطناً ونصفه بـ الوطنية .

د. سعيد بن عطية ابو عالي

المشترك الإنساني بين الأوطان والشعوب

واليوم لا يذكر الوطن إلا وتذكر معه العولمة، ولا تذكر الأخيرة إلا ويذكر معها الوطن. كثير من الناس يتوجس خيفةً من العولمة. إنهم يرونها تياراً هادراً يجرف الحدود ويلغي القيم ويفرض على الناس نمطاً جديداً للحياة لا يحبونه ولا يرغبونه. والعلاقة بين فكرة الوطن وظهور (العولمة) – في نظري– تستحق الوقوف والتأمل.

بدأت العولمة في تراثنا الأدبي والتاريخي منذ زمن طويل وأكاد أعتقد أنها بدأت معنا وبنا قبل كثير من الأمم والشعوب الأخرى على الأرض. قوافل قريش التجارية وصلت إلى اليمن –

الركن الجنوبي لجزيرة العرب – واخترقت حدود الجزيرة إلى الشام حيث استطاع العرب أن يتعاملوا مع أهل فارس والروم. باع تجار قريش منتجاتهم في اليمن كما باعوها في أسواق الشام، ونقلوا منتجات اليمن والفرس والروم إلى مكة المكرمة. قطعوا مسافات السفر كل عام مروراً بآثار أمم كانت سائدة ثم بادت فكانت لهم عبرة وذكرى. تعاملوا مع الناس الذين يمرون بديارهم كما تعاملوا مع أهل الأسواق والأمم غير العربية. فاكتسبوا عادات جديدة كما نقلوا كثيراً من عاداتهم إلى الآخرين.

اختلطوا مع أهل التجارة والأدب ورجال الدين في البلاد العربية. لذلك لحظ الراهب (بحيرى) علامات النبوة على الفتى القرشي محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – فنصح عمه برعايته وحمايته لأنه سيصير له " شأن عظيم "(1)، ولعلّ امتداد الروابط الاجتماعية بين الناس في قديم الزمان كانت لدى العرب ضرباً من ضروب العولمة.. فقد انتشر التزاوج بين القبائل مما ساعد على نقل عادات قبيلة إلى أخرى، ناهيك عن أن بعض العرب تزوجوا من أجنبيات، وقد ظهرت فكرة الوطن ذي الحدود الجغرافية والانتماء الإثني في أوروبا قبل مئات السنين.. وأصبح الوطن يمثل هويةً خاصة. ولعلّ الفائدة التاريخية التي عادت على البشرية من تكوين الأوطان هي بثُّ روح التنافس بين الشعوب في أمور تنظيم حياتهم والبحث عن سبل ووسائل الرفاه للشعوب. ولكن قدراً من العنجهية والتعالي والتسامي سادت كثيراً من الشعوب مما أدى إلى قيام حروب طاحنة بين الشعوب ولعلّ الحربين العالميتين الأولى والثانية وما سببتاه من إزهاق في أرواح البشر وتدمير الممتلكات من أبرز الحروب التي عانت منها الإنسانية كلها.

وللحد من ضيق أفق الوطن الواحد والوحيد لشعب ذي عنصر واحد أو عناصر بشرية متعددة تعيش على رقعة جغرافية واحدة ظهرت القوميات المختلفة إلا أنها لم تحدّ من عنفوان العنجهية والتعالي والتسامي التي ذكرناها آنفاً. صحيح أن قومية ما تشمل عدداً من الثقافات وعدداً من الأوطان.. ولكنها دعتْ إلى تقديس القومية وتميزها على ما عداها. بل إن نظرية تفوق الجنس الآري التي نشأت في أوروبا على غيرها من الأجناس أبرز دليل على فشل القومية في نشر التعاون والتكاتف والارتقاء بمستوى معيشة الإنسان، تطورت فكرة (الوطن) بأبعاده الجغرافية والإثنية والزمانية. وتطورت مع (الوطن) أساليب المعيشة فتقدمت الزراعة، وقامت الصناعة، وأنشئت دور العلم مثل الجامعات ومراكز البحوث. ولكنّ أي مشكلة مع الوطن (الجار) في البر أو البحر أو الجو مهما كانت صغيرة لا تحلُّ بطريقة الحوار بل إن المدافع وأخيراً القنابل الفتاكة هي اللغة الوحيدة التي تتفاهم بها الشعوب مع بعضها البعض بدعوى الدفاع عن السيادة الوطنية. ثم تطورت هذه الحروب – مع الأسف – لتشمل أوطاناً بعيدة بل وضعيفة وغير ذات خطر على الحكومات القوية.

ومن أمثلة هذه الحروب :

1) حرب المائة عام في أوروبا.
2) الحرب العالمية الأولى.
3) الحرب العالمية الثانية.
4) حرب فيتنام.
5) حرب أفغانستان.
6) حرب العراق.

أما الحرب على فلسطين واستمرارها لأكثر من

ستين عاماً فحدث عنها ولا حرج. حدث عن أسبابها غير الشرعية وغير المنطقية. حدث عن آثارها في سلب وطن عربي بكامله، وتشريد أهله، والتفريق بين الشعوب والأوطان العربية الأخرى.

ولكن هذه الأحداث السوداء في تاريخ البشرية وغبارها الداكن لا يخفي عنا الحقيقة.. وهي مشروعية قيام وطن يحافظ على هويته ومقدراته الطبيعية والاقتصادية، وواجبه في تحقيق الحرية والعدالة والعيش الكريم بين أبناء الوطن الواحد. ومع هذه الأهداف النبيلة فإن الوطن الحر وأهله الخيرين لا يتراجعون عن التعاون مع غيرهم من الشعوب من أجل كرامة الإنسان وحريته.

وفي العصر الحديث قامت منظمات إقليمية ودولية لتسهيل التعاون والتنافس بين شعوب معينة.. منها:

- الجامعة العربية.
- منظمة الأمم المتحدة.
- السوق الأوربية المشتركة التي أدت إلى قيام الاتحاد الأوروبي.
- منظمة المؤتمر الإسلامي.
- مجلس التعاون لدول الخليج العربية.
- منظمة آسيان (لبعض شعوب آسيا)

وعملت هذه المجموعات لتحقيق أهدافها في نشر الحرية والمساواة والعدالة والرفاهية بين الأفراد والشعوب.. وهي تتفق جميعاً في النوايا الحسنة، والتوجه نحو تحقيق أهدافها.. بينما تبرز الفروق في النتائج فكثير منها لم تقترب من الأهداف الكبرى التي قامت أصلاً لتحقيقها.

وقد عانى العالم كله – في نظري – وخاصةً الشعوب الإسلامية والمسلمين بعد تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م. حيث قام الرئيس الأمريكي جورج بوش (الابن) بإعلان مبدأ " من لم يكن معنا فهو ضدنا ". وهذا المبدأ هزّ العالم ودنّس مصداقية الشعوب وعاد بالعالم إلى ما يشبه شريعة الغاب. وإذا كان مصاب أمريكا بفقد الآلاف من أبنائها في يوم واحد بل وفي ساعة واحدة كبيراً بالإضافة إلى الخسائر المادية وانتهاك مبدأ (السيادة الوطنية) فإن المسلمين عموماً عانوا بسبب ذلك تفرقةً وتمييزاً لم يسبق لهما مثيل فأصبح الاتهام بأي حادث يوجه إلى المسلمين بالهوية... ولعلّ المتضرر الأكبر هو المملكة العربية السعودية فقد وجهت إليها أصابع الاتهام لاشتراك عدد من أبنائها الضالين في تنفيذ كارثة الحادي عشر من سبتمبر، ودعا كثير من المتطرفين والأعداء التقليديين للمملكة مثل الصهاينة بالاقتصاص لهذا الحادث المروع من السعودية. ولكن حكمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز تجلت في مواقفه الرائعة

وذلك بمشاركته الحزن والأسى للشعب الأمريكي ولأسر الضحايا وإدانته الفورية لأعمال الإرهاب والإرهابيين. واستعداده للمشاركة في تخفيف المصيبة عن المصابين.. ولكن ذلك لا يكون على حساب السعودية (الوطن) ولا على حساب السعوديين (الشعب) ولا على حساب الدين (الإسلام) وأطلق مبدأه الشهير " لا نقبل التعدي ولا نساوم على الدين والوطن " وقام بعدة مبادرات واتصالات توجها بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية والتحدث إلى الشعب الأمريكي مباشرة والاجتماع بالرئيس الأمريكي جورج بوش (الابن) في مزرعته بولاية تكساس وذلك لشرح موقف السعودية ومبادئها. والذي ساعد الملك عبدالله بن عبدالعزيز على هذا الموقف الجليل هو تطبيق مبادئ الحرية والعدالة والمساواة بين أفراد الشعب السعودي الذي وقف معه وقفة رجل واحد.

وما جاء في الفقرة السابقة يقودنا إلى تعريفات سريعة وقصيرة لبعض مفاهيم قيام الأوطان في عالم تسيطر عليه تقنيات الاتصال الحديثة وتحكم بعض مناشطه اتفاقات وأعراف دولية :

الوطن : رقعة جغرافية تمثل ذاكرة الشعب وتعطيه الدافعية نحو المستقبل.

المواطن : هو من يعيش على هذه الرقعة الجغرافية ويعمل مع أبناء وطنه لتحقيق مبادئ الحرية والعدالة والمساواة والحق، ومستعد للدفاع عن هذا الوطن وما يمثله من قيم ومبادئ.

الحاكم : هو من يرتضيه أبناء الوطن (الشعب) لقيادتهم نحو الكرامة والتقدم والتعاون مع الشعوب الأخرى.

السيادة الوطنية : بقدر ما ترتبط هذه السيادة بجغرافية الوطن فإنها ترتبط بالمبادئ الإنسانية التي يؤمن بها هذا الوطن ويطبقها على جميع أبنائه.. ويرتضيها لجميع الناس في الأوطان الأخرى.

ولعلّنا نختم هذا الحديث بالتوجه إلى أمتنا العربية بأن نهضتها لا يمكن أن تتم في معزل عن تاريخها، ولا بالانطواء على النفس ؛ ولكن النهضة تتم عن طريق العناية بالعلم ومساعدة العلماء على البحث والتطبيق والمساهمة في صناعة المعرفة الإنسانية. والسير إلى إقامة صناعات متقدمة تجعل المواطن العربي (منتجاً) وليس مستهلكاً فقط. والأمن الغذائي مطلب ضروري للأمة وهذه لا تتم إلا بالتعاون مع الشعوب الأخرى والمنظمات الإقليمية والدولية.

يتناول هذا الموضوع أقلاماً أكاديمية عربية وأجنبية تحلل الواقع ، وتغوص في أغواره وتكشف بعضاً من أسراره الخفية على العرب والمسلمين ، ويعرض الباحثون (الثقافة العربية للقدس) ويصل الدارسون إلى ما مفاده أن الأرض العربية ستشهد تقزماً إسرائيلياً وتراجعاً ملحوظاً واندراجاً للتهويد الإسرائيلي

تأليف : نخبة من الباحثين الأجانب والعرب
عرض : جاك صبري شماس

قدس الثقافة العربية

تكاد بعض الموضوعات تتداخل فيما بينها مؤدية الغرض الذي من أجله اتجهت هذه الدراسات مؤكدة على عروبة القدس، وعروبة الأقصى بأقلام الغربيين والعرب، تشير الباحثة (ناثان كريستول) إلى تصفية عروبة القدس الغربية منذ (1947 – 1950) وكيفية الاحتلال ونهب الثروات، إذ تتعرض هذه المقالة لتهجير العرب من أحياء القدس الغربية بعد اندلاع القتال أواخر عام 1947، مع إعلان قيام دولة إسرائيل في 15مايو / أيار 1948، إذ كانت القدس الغربية قد وقعت في أيدي القوات الصهيونية، ويصف الكاتب عن شهود عيان عملية النهب الواسعة التي

أعقبت إجلاء العرب وتوطين المهاجرين اليهود وموظفي الحكومة الإسرائيلية في بيوت العرب ومع نهاية 1949 كانت كل أحياء القدس العربية قد تم استيطانها من قبل الإسرائيليين.

إن مدينة القدس مدينة عربية خالصة أنشأها العرب الكنعانيون منذ آلاف السنين، وكانوا يسمونها " أورسالم" أي " مدينة السلام " وقد وفد الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية في الألف الرابع قبل الميلاد، وكلمة كنعان تعني في العربية القديمة خشونة الأرض، ومن ثم صلابة أهلها وبأسهم، وتفرع عن الكنعانية بطون عدّة من عموريين ويبوسيين وآراميين وفينقيين وغيرهم. إلا أن اليهود نشروا الأكاذيب وزيفوا الحقائق زوراً وبهتاناً بأنهم هم الذين أنشأوا وشيدوا مدينة القدس.

في العصر الإسلامي وصل الخليفة عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس قادماً من المدينة المنورة، وقابل البطريق صفرونيوس فوق جبل الزيتون وأملى عهده المشهور بالعهدة العمرية. إذ أعطى الخليفة أهل إيلياء (أي القدس) أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، فلا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا يكرهون على دينهم. ورد في هذا العهد نص في غاية الأهمية هو (لا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود) معنى هذا أن القدس ليست أرضهم. ويقول الباحث غازي أنعيم أن القدس تحتل منزلة كبيرة في الوجدان العربي والإسلامي، وأطلق عليها أسماء كثيرة منها القدس، المسجد الأقصى، اورسالم، المسرى ومهد عيسى.

كان دافيد بن غوريون يتابع عن كثب عملية الإجلاء والاستيطان (إجلاء العرب وتوطين اليهود)، حيث أمر القائد الجديد للهاغاناه في القدس ديفد شالتئيل بالسيطرة على اليهود وتوطينهم في المناطق العربية ومع حلول مارس آذار كانت جميع أحياء القدس باستثناء الحي اليهودي في القدس العربية القديمة وقد أصبحت حصراً إما عربية أو يهودية مع انعدام التواصل بينهما بشكل فعلي، وقد أرادت إسرائيل طمس الماضي والحاضر، إذ بدأت الحفريات معتمدة على رؤى يهودية متطرفة وخيال وهمي من أجل تغيير معالم صورة القدس، ويريدون من ذلك نفي الواقع العربي الفلسطيني باحتلال قرى ومدن فلسطينية حسبما يرى الروائي الصهيوني يزهار سميلا فستي ناسخاً أي أثر للعرب في إشارة إلى المشهد الذي اختلقه الصهاينة عام 1948م.

ولم تنسلخ صفات القداسة والسلام عن مدينة القدس حتى يومنا هذا، وقد جاءت الأديان السماوية لتؤكد هذه القداسة وتعلي من شأنها والمسلمون يقدسونها ويقدسون مسجدها المشهور (المسجد الأقصى) الذي كرمه الله سبحانه وتعالى من خلال ذكره في القرآن في قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء، آية ١].

وكانت القدس قبل وبعد احتلالها تشغل الوجدان العربي والإسلامي، وقد اهتم الفنانون التشكيليون بالقدس وأبرزوها في لوحات مختلفة انغرست في الوجدان العربي والعالمي.

كانت القدس ومازالت المعيار والمقياس بين التقدم والانبهار والفاصل والقاطع بين الهزيمة والانتصار لذلك كانت على مر التاريخ تمثل المعيار الذي لايخطئ على قوة العرب والمسلمين، وهي دائماً محور المواجهة ومازالت تمثل قلب القضية العربية والإسلامية بلا شك، من هنا حظيت القدس موضوعاً ولحناً باهتمام مميز في سجل الأغنية

العربية التي خاطبت الوجدان وأرخت للأحداث والمتغيرات التي شهدتها فترة الستينات من القرن الماضي وبشكل خاص بعد احتلال القدس بالكامل عام 1967، وبعد الانتفاضة الأولى، وانتفاضة الأقصى، إذ دفعت المبدعين العرب لمواجهة تلك الأحداث بالأغنية السياسية والوطنية.

تأتي كلمات الشاعر المعاصر نزار قباني لتعبر عن مكانة (القدس) في الوجدان العربي والإسلامي :

بكيت حتى انتهت الدموع
صليت حتى ذابت الشموع
ركعت حتى ملّني الركوع
يا قدس يا مدينة الأنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

لم تظلم مدينة في التاريخ العربي ذات مكانة استثنائية ومحملة بوهج تاريخي عميق مثلما ظلمت مدينة القدس، فقد أثبط الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1948 كل المحاولات التي تحاول إضاءة ملامحها التاريخية والمعاصرة ووضع العراقيل في كل طريق تؤدي إلى معرفة تفاصيل حياتها الاجتماعية والسياسية والتاريخية، وأغنت المدونة الثقافية والفنية العالمية في الاعتراف بالقدس على ما أنتجته التدوينات الاحتلالية من بقع فاتحة من تاريخ هذه المدينة من دون أن تشير إلى حقيقتها التاريخية فأسرلت القدس وطعمت أسرلتها بالخرافات التوارتية، ونزعت بهذه الأسرلة صورتها المتعددة لتجعلها يهودية خالصة ماضياً وحاضراً على حد سواء في السينما أو في الدراما أو في الفيلم الوثائقي أو حتى في النصوص الإبداعية، ويختم هذا البحث الأكاديمي من قبل الأستاذ الباحث غازي العدواني الذي يرى بأنه لا سبيل إلى الخلاص إلا بالصمود والمقاومة، ويقترح إقامة معرض دائم في جميع الدول العربية تشرف عليه مؤسسات المجتمع المدني الموجودة في القدس وإظهار أهميتها عربياً و إسلامياً حتى تكون ظاهرة وحاضرة في الوجدان العربي وجاهدة لإفشال كل المخططات الصهيونية .

يمثل ميثاق العمل الوطني وثيقة عهد بين ملك وشعبه وهو انطلاقة صادقة، أصيلة، هامة، أعلنها صاحب الجلالة ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة لشعبه الكريم؛ لتكون نقطة تحول وازدهار؛ مرتبطة بشريان الحياة ومسيرتها، لأهل البحرين، هذا البلد الطيب، الذي سُعد أبناؤه بهذا المنطلق الحضاري الرفيع، وعبر عن سعادته بتفاعل إيجابي صادق على جميع المستويات.

د. عبداللطيف بن جاسم كانو

ميثاق العمل الوطني ..وثيقة عهد بين الملك وشعبه

لقد اشتملت الوثيقة على محاور ارتبطت بالحرية، والانفتاح التام في كل ميادين الحياة بالإضافة إلى استشرافات المستقبل، سيما ونحن نعيش في عالم متغير. ويأتي موقع المرأة ومكانتها ودورها في صميم الوثيقة التي ترتكز على الموروث الثقافي الرائع لهذه البلاد.

ميثاق العمل الوطني

ولدخول الألفية الثالثة بكل أبعادها فقد وضع ميثاق العمل الوطني الهادف عبر لقاءات من الحوار الوطني المتصل بأهل الدراية ليكون المنطلق الحقيقي نحو المستقبل عبر خطة مدروسة ورؤية

واضحة مستنيرة، مرتبطة بالوطن وتطلعاته وبالانفتاح وحرياته.. ميثاق الوطن.. من أجل الوطن.. في خدمة الوطن.. ومستقبل الوطن.. ميثاق هو (وثيقة عهد) لأهل هذا البلد الطيب يجمع ولا يفرق، يوثق ويرسخ عرى المودة والأخوة والتعاون بين أبناء الشعب، ويؤكد وحدة الوطن.. والحفاظ على ترابه ومكتسباته.. ويرسم آفاق المستقبل المنير لتكون البحرين العزيزة دائماً أرض الخير والعطاء لكل أبنائها.

ولقد قدم جلالة الملك حمد بن عيسى – حفظه الله– هذا الميثاق إلى شعبه فقال :

"إنه ميثاق للوطن، ووثيقة للعهد، وركيزة لعقد اجتماعي جديد في مسيرتنا الوطنية يرسخ ويوثق أصالة البحرين وتميزها وتراثها الحضاري ويؤكد وحدة الوطن أرضاً وشعباً، كما يمثل في الوقت ذاته دليل عمل لمستقبله، يحدد معالم الطريق ويستكمل مؤسسات الدولة ونظمها، ويرسم آفاق الغد الأفضل للبحرين الجديدة التي نريدها أبهى وأجمل، لنا ولأجيالنا المقبلة".

إن الميثاق يربط الحاضر بالماضي، ويرسم المعالم الواضحة نحو المستقبل وأبعاده، عبر المبادئ الديموقراطية التي تؤكد على أن دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع، وأن سيادة القانون هو الأساس في كل شيء، كما يؤكد الميثاق على استقلال القضاء واستكمال الهيئات القضائية المنصوص عليها في الدستور، ويعطي للشعب دور المشاركة الحرة في الشئون العامة للبلاد من خلال الانتخاب والتشريع والمشاركة الفعالة في كل أمور البلاد العامة المرتبطة بالحياة العامة.

مبادئ الميثاق

ومن مبادئ الميثاق الهامة مبدأ الحرية الاقتصادية الذي يؤكد على أن المبادرة الفردية وحرية رأس المال في الاستثمار والتنقل مع دعم وتأكيد دور القطاع الخاص في تنمية الموارد، وتنشيط الحركة الاقتصادية، والانفتاح الاقتصادي، وتبسيط الإجراءات والشفافية في كل المعاملات، وتحسين مستوى الخدمات، وتحديث التشريعات، وتفعيل أدوات المراقبة المالية والإدارية بإنشاء ديوان للمراقبة المالية وديوان للمراقبة الإدارية ؛ كما أكد الميثاق كذلك صيانة الملكية الخاصة، فلكل شخص حرية التصرف في ممتلكاته في حدود القانون، ولا يجوز نزع الملكية الخاصة إلا لأغراض المنفعة العامة، ويتم ذلك في حدود القانون وعن طريق تعويض عادل مقبول.

وبعد دراسة مبادئ ومحاور ومواد هذا الميثاق الوطني الهام من قبل المختصين وأساتذة الجامعات وخبراء القانون طُرح للاستفتاء الشعبي.. فقال الشعب كلمته الواضحة بنسبة عالية جداً هي 98.4 % أكدت العزم والانطلاق نحو المستقبل، نحو الألفية الثالثة بثقة وقوة واقتدار، ويعد الميثاق نقلة حضارية متقدمة ونقلة تاريخية هامة سيسجلها التاريخ بكل فخر واعتزاز على أنها النقلة التي ستسهم في إحداث تغييرات جذرية أكيدة مبنية على الحرية والديموقراطية، والمشاركة الشعبية والتي ستعطي ثمارها بتغيرات واضحة على تحديث سلطات الدولة ومؤسساتها من أجل الوطن والمواطن.

عدالة.. حرية ديموقراطية

جاء الميثاق ليؤكد مبادئ العدالة والحرية والديموقراطية عبر مواده الجدية الهادفة وليكون علامة بارزة، وحدثاً هاماً في تاريخ البحرين الحديث. إنه يضع بلادنا العزيزة في مصاف

جلالة الملك يصادق على الميثاق

الدول الديموقراطية المتقدمة التي تؤمن بالإنسان، وبحقوق الإنسان.. وبالنظم الديموقراطية الحقة للإنسان. إنه المواطن الذي يشعر دائماً بالأمن والأمـان في وطنه وبين أهله وذويه، وبالعدالة الاجتماعية في شتى نواح الحياة وأبعادها.

ومن المنطلقات الأساسية للميثاق : العدالة.. والحرية.. والديموقراطية... فالعدالة هي ركن هام من أركان الحكم. فالعدل أساس الحكم، وفي ظله تتحقق المساواة ويسود القانون وتتوفر الفرص المتكافئة لجميع المواطنين ؛ كما أن الحريات الشخصية والمساواة بين الناس في كل شيء، مسؤولية تقع على الدولة التي تكفلها للمواطنين جميعاً بلا تفرقة ولا تمييز، ولا تقديم ولا تأخير، فالناس سواسية في كل الأمور أمام القانون، يشملهم مبدأ المساواة في الحقوق وفي الكرامة الإنسانية ؛ والحرية الشخصية مكفولة وفقاً للقانون، فلا يجوز القبض على أي إنسان أو تقييد حريته في الإقامة أو التنقل إلا وفق القانون، وتحت رقابة القضاء، وتكفل الدولة حرية العقيدة، وتكون حرية الضمير مطلقة ؛ وتصون الدولة حرمة دور العبادة، وتضمن حرية إقامة الشعائر الدينية، كما أن لكل مواطن حق التعبير عن رأيه بالقول أو الكتابة أو بأي طريقة من طرق التعبير عن الرأي، كما أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال تعريض أي إنسان لأي نوع من أنواع التعذيب المادي أو المعنوي أو لأي معاملة غير إنسانية أو مهينة أو ماسة بالكرامة، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بالقانون، والمتهم بريء حتى تثبت إدانته بموجب محاكمة عادلة.

الحرمات المصونة

وقد بين الميثاق في مواده الأخرى ، العديد من موازين القسط وبالحرمات المصونة، وبنشاط المجتمع المدني، وبأن العمل واجب وحق، وأن التعليم إلزامي ومجاني وإن الجامعات هي منارات الإشعاع الفكري والتقدم العلمي الحضاري، مما يقتضي توفير الحرية الأكاديمية لها وضمان ممارسة هذه الحرية وانفتاحها على آفاق المعرفة، كما أكد الميثاق حق الشعب في المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية في البلاد، وحق الانتخاب والترشيح للجميع رجالاً ونساءً وبدون أي تحفظ من أي نوع.

ممارسة ديموقراطية سليمة

ومن أجل تطوير الممارسة الديموقراطية إلى الأحسن والأمثل وتفعيل دورها الإيجابي من أجل

الوطن، فإن الرؤى توضح أن نظام المجلسين قد برهن كفاءة ممتازة في كثير من الدول الديموقراطية العريقة، وذلك من أجل تمازج الأفكار، وجمع الخبرة المتنوعة، ووجهات النظر المختلفة بين أبناء الشعب، في القضايا المعاصرة، والمتداولة وسن القوانين والنظم، وتعيين المسؤولين الذين لهم الخبرة والكفاءة والمقدرة والاختصاص، بالإضافة إلى خبرة الممارسة الفعلية والميدانية، والمكانة العلمية أو المهنية أو الأكاديمية، وقد برهنت التجارب على أن هذا التنوع في المشاركة له المردود الإيجابي النافع المؤدي إلى الاستقرار والتفاهم والعطاء المركز المدروس، من أجل خدمة الشعب عبر المنابر النيابية.

المـرأة والميثاق

لقد كرّم الله المرأة بأن جعلها أماً للبشرية وأدخل في قلبها الحنان والرحمة، والعطف والمودة، والرأفة والمواساة وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات، فهي الأم والزوجة، والأخت والبنت وهي جزءٌ هام من المجتمع، يعتمد عليها في خير الوطن وصلاحه، وتقدمه وازدهاره، فهي تشكل النصف الكامل للمجتمع الآمن، فعاشت الحياة بكاملها متقدمة في دروب الحياة، وفي ميدان العمل والصناعة والثقافة والفنون، تشارك الرجل في كل ميدان من ميادين النهضة والتقدم من الجامعة والهندسة والطب إلى المحاماة والإدارة الدبلوماسية، وشاركت في إعداد الميثاق الوطني وهي عضوة فاعلة في مجلس الشورى الحالي.

ولقد أعطى ميثاق العمل الوطني المرأة حقها كاملاً غير منقوص في كل أمور الحياة في هذا البلد الطيب، مركزاً على نواح إيجابية هامةٌ لكون المرأة فيها النصف المكمل للمجتمع، فهي عماد الأسرة وحقوقها مصونة بالكامل في جميع المواد التي سجلها الميثاق، فهي الشريك الكامل للرجل في كل الحقوق والواجبات من أجل الوطن وفي خدمة الوطن والدفاع عنه.

الحق الكامل والتشريعات المناسبة

وقد سجل الميثاق الوطني نواحي هامة بالنسبة للمرأة فجعلها متساوية في الحقوق والواجبات، وأضاف أنها أساس الأسرة، والأسرة عماد المجتمع، وبصلاحها تقوى أواصره، وتعلو قيم

الدين والأخلاق وحب الوطن، فالدولة تحفظ كيان الأسرة الشرعي وتحمي في ظلها الأمومة والطفولة، وترعى النشء وتحميه من الاستغلال وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي.

كما نص الميثاق على أن الدولة مسؤولة عن دعم حقوق المرأة وسن التشريعات الخاصة بالمرأة وبالأسرة، وحماية أفرادها، وأن العمل واجب على كل مواطن، ولكل مواطن الحق في العمل وفي اختيار نوعه.

وقد أكد الميثاق الوطني على أن المجتمع مكون من المرأة والرجل. وقد تأكد هذا المبدأ الرفيع في المادة السابعة من الفصل الثاني حيث جاء النص واضحاً على النحو التالي : (يتمتع المواطنون رجالاً ونساءً بحق المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية في البلاد بدءاً بحق الانتخاب والترشيح طبقاً لأحكام القانون).

حق التصويت والترشيح

ومن هذا المنطلق الإيجابي الديموقراطي السليم فإن للمرأة الحق في التصويت والترشيح للانتخابات وفي أمور الحياة المرتبطة بالحياة الديموقراطية، والشؤون البلدية، أو أي مرفق عام آخر يكون الانتخاب والترشيح أساسه، وبهذا تكون المرأة البحرينية قد سبقت بعض أقرانها في دول مجلس التعاون بالتمتع بالحقوق السياسية كاملة غير منقوصة ولها الحق في الترشيح كما أن لها الحق في التصويت في الانتخابات وفي الاستفتاء في كل ما يتعلق بأمور هذا البلد الديموقراطي الحق.

لؤلؤ الديموقراطية

إن الإنجازات الرائعة لا تتم إلا في بيئة ديموقراطية تسودها الحرية التي تكفل مشاركة شعبية فعلية، فاعلة واعية، تمضي بالبلاد نحو الآفاق المستقبلية الرحبة. والنظام الديموقراطي المستقر هو الذي يؤكد على الفصل بين السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والقضائية، ولذلك فإن نظام الحكم في البحرين هو نظام ديموقراطي واع، منفتح، السيادة فيه للشعب وهو مصدر للسلطات جميعاً كما نص على ذلك الدستور وميثاق العمل الوطني.

ولنمو الديموقراطية الحقة على أرض الواقع فإنه لا بد للمواطنين، جميع المواطنين، الذين يحق لهم التصويت أن يكون لهم دور إيجابي فاعل في العمليات الانتخابية والاستفتائية، فبدون هذه المشاركة لا يمكن للعملية الديموقراطية أن تنجح ولا بد لنا أن نعلم أن العملية الديوقراطية هي أن

نقول ما نؤمن به في صناديق الاقتراح، دون تأثير الآخرين وأن نرتبط بها وبواقعنا الذي نعيش فيه وبحياتنا ومجتمعنا، ومعنى هذا ببساطة : أن يكون هناك دور فاعل رئيس على اختلاف فئاته وقطاعاته وانتماءاته، رجالاً ونساءً، ليقول كل منا كلمته فيما يطرح عليه من قضايا في الانتخابات المقبلة القادمة قريباً إن شاء الله.

ويحق لكل مواطن بحريني، رجلاً كان أو امرأة، ويبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً أن يدلي بصوته بثقة تامة، وهذا واجب وطني لا بد له أن يقوم به، لأن رأيه في هذه الحالة هو رأي المواطن الصالح الذي يريد الخير لبلده وأمته ومجتمعه وهو مسؤولية كبرى تحسب له أو عليه، من قبل أجيال المستقبل.

وقد سهلت الدولة عملية الاستفتاء على الميثاق الوطني خلال يومين من الاقتراع في أكثر من 47 مركز تدار من قبل قضاة مشهود لهم بالكفاءة والمقدرة، موزعة في جميع أنحاء البلاد من أجل تيسير عملية المشاركة للمواطنين رجالاً ونساءً وهذا بحد ذاته دعوة مفتوحة لكل المواطنين بأن يحافظوا على مكتسبات الشعب بمشاركتهم الفعلية الميدانية، فالديموقراطية ليست بالكلام المعسول أو التنظير.

وإنما هي بالمشاركة الميدانية على أرض الواقع عبر صناديق الاقتراح والقول بما يؤمن به صاحبه دون تأثير من أي جهة كانت، ومع أن الديموقراطية بمعناها الواسع هي الرجوع إلى الشعب، فالاستفتاء هو رجوع إلى الشعب ليقول كلمته.

ولؤلؤة الديموقراطية الحقة صناديق الاقتراع، وما نقوم به، هو مسؤولية في أعناقنا من أجل الوطن والحرية والديموقراطية فعلى بركة من الله سوف نسير لتسير المسيرة والبحرين العزيزة نحو مستقبل واعد زاهر.

هذا والله من وراء القصد وهو الموفق لما فيه الخير والسداد وهو الهادي المعين،،

خلال تدشين صرح الميثاق الوطني

ملامح الحياة داخل القصر السلطاني العثماني

د.بسام البطوش

تهتم الدراسات التاريخية بتسليط الضوء على الحياة السياسية عند دراسة تاريخ دولة ما ، والدولة العثمانية ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها ، فقد أشبع التاريخ العثماني دراسة وتحليلاً في جانبه السياسي ، لكن المدارس التاريخية الحديثة بدأت تهتم بدراسة التاريخ الاجتماعي إلى جانب الاهتمام بدراسة جوانب الحياة المختلفة عند كتابة تاريخ دولة أو فترة ما،

من هنا تجئ أهمية مثل هذه الدراسة التي ستستهدف تسليط الضوء على جانب مغفل من التاريخ العثماني و هو المتعلق بالحياة داخل القصر العثماني، ورسم ملامح الحياة اليومية للسلطان وأسرته وحاشيته، وهذه الدراسة الشيقة تقدم الملامح العامة للموضوع ولا مجال هنا للغوص في التفاصيل.

لمحة عن السراي العثماني

كان أول سراي[1] (قصر) عثماني قد بناه السلطان مراد الثاني(1421-1451م) في أدرنة، العاصمة القديمة، وبعد فتح القسطنطينية 1453م، قام السلطان الفاتح محمد الثاني(1451-1481م) بنقل العاصمة إلى استانبول، واتخذ من بناء بيزنطي قديم مقراً له(السراي القديم)، وأدخل بعض الترميمات عليه،وهو القصر القديم الذي تشغله حالياً جامعة استانبول[2] .

أما السراي الجديد المسمى طوب قابي سراي(Top Kapi Serayi)، فقد شيد في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح،وتم الانتهاء من البناء عام 1468م[3]. في حين تم بناء سوره الهائل في عام 1478م، وفي عهد السلطان سليمان القانوني أصبح هو المقر الدائم للسلطان، وبقي كذلك لمدة 450 سنة أي حتى أواسط القرن التاسع عشر[4].

ويوجد في أسواره الفخمة ثمانية أبواب، بعضها من جهة المدينة وبعضها من جهة البحر، وطولها نحو ستة آلاف ذراع ويحيط به حدائق فسيحة ذات أشجار عالية مرتبة ومنظمة،وتشتمل أسواره على بناء بيزنطي قديم(كنيسة) بناها قسطنطين الأكبر[5].

وفي عهد السلطان عبد المجيد(1839 1861م) شرع في إشادة قصر(خولة باغجه) الذي استغرق بناؤه ستة عشر عاماً، وانتهى البناء في عهد السلطان عبد العزيز(1861- 1876م) ويسمى(ملك القصور)، نظراً لجماله ولروعة صنعه،وفخامة أثاثه ومفروشاته ومحتوياته، وهو المطل على البسفور، ويوجد بجانبه بناء جميل والقرون جمعها السلطان عبد العزيز واعتنى بها[6]، أما السلطان عبد الحميد الثاني(1909-1876م)فقد سكن في(خولة باغجه) لكنه انتقل إلى قصر(يلدز) بعد أن زاد على بنائه وعزز أسواره، وكان هذا القصر قد بني في عام 1865م، وقد وقع اختيار السلطان عبد الحميد عليه نظراً لبعده عن البحر،ولإمكانية اتخاذ احتياطات أمنية أفضل فيه، وبقربه بحيرة صغيرة فيها القوارب المجهزة لخدمة السلطان، وفي داخل أسواره حدائق كثيفة، نثر السلطان بين جنباتها العديد من الأكشاك والاستراحات في الأماكن البعيدة، ويزيد في جمال موقعه أنه يجثو على تلّة تشرف على العاصمة[7].

أقسام السراي

للتعرف على طبيعة الحياة داخل قصر السلطان العثماني،لابد من التعرف على مكونات هذا القصر وأقسامه.فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام متصلة وفي الوقت نفسه منفصلة! وهي: القسم الخارجي(البيرون)،والقسم الداخلي(الأندرون)، وقسم الحريم، وبالرغم من كونها تؤلف معاً هيكل القصر السلطاني، إلا أنها تنفصل عن بعضها بصرامة، ومن الصعب

الانتقال من قسم لآخر، إلا عبر إجراءات معقدة، وبشروط وحالات خاصة، ويفصل بينها ثلاثة صحون واسعة ليس من السهل اجتيازها إلا ضمن ترتيبات بروتوكولية محددة.

وهذا التقسيم أدى إلى تقسيم العاملين في الخدمة داخل القصر إلى أقسام ثلاثة هي : الخدمة الخارجية، الخدمة الداخلية، وخدمة الحريم[8].

أولاً : القسم الخارجي(البيرون)

وهو مقر الحكومة المركزية، وعدد من الأجهزة العسكرية والمدنية والأمنية، التي تشكل حلقة وصل بين السلطان والدولة[9]. ويعمل فيه عدد كبير من الموظفين المختارين بعناية فائقة،وهم خليط من مختلف الوظائف ؛ فمنهم الانكشارية، وعلماء الدين، والخصيان السود أو البيض. ينفذون مهمات إدارية وعسكرية متنوعة. وخدمة الخارج لا تعنى مباشرة بشؤون القصر الداخلية[10].

وظائف الخدمة الخارجية :

١) حامل العلم(مير علم)

وهو الضابط الأول في الخدمة الخارجية،علامة على عناية بالبيرق السلطاني وشارة السلطان، ويقدم الشارات إلى حكام المقاطعات عند تعيينهم، ويعد مسؤولاً عن الجوقة الموسيقية الخاصة بالقصر، وفيما بعد أضيف إلى مهامه الإشراف على فوج المراسلين الخاصين الذين يطلق عليهم «قادة حراس الباب»،أو(قاب جي باسي)[11].

٢) القائد الكبير للخيل(أمير أي آفور)

وهو المسؤول عن جميع العاملين في الاصطبلات والمراعي السلطانية[12].

٣) القائد الصغير للخيل

يساعد القائد الكبير في متابعة شؤون الاصطبلات، ويهتم بتجهيز الخيول المطلوبة للخدمة، ويعتني بالعربات السلطانية[13]. هذا مع ملاحظة أن الاصطبلات السلطانية تحوي عدداً كبيراً من الخيول الأصلية، وعدداً كبيراً من الخدم والعاملين، وسيّاس الخيل بلغ عددهم(280) خادماً في عام 1514م، و(283سائساً)عام 1527م[14].

٤) حارس الأبواب

وهو المسؤول عن حراسة مداخل السراي والأسوار المحيطة به،ويقوم بوظيفة التشريفات في الاجتماعات الرسمية التي تدعى للديوان[15].

٥) رئيس البستانية(البستانجي باشر)

ويعمل تحت إمرته عدد كبير من العمال والخدم، للعناية بالحدائق، وفي صلب مهامه استصلاح الأراضي المحيطة بالقصر وضمها للحدائق والبساتين، لكن عملهم لم يقتصر على هذه الأمور بل تعدّاها إلى المراقبة والحراسة، على الأسوار والموانئ الصغيرة المحيطة بالقصر، والإشراف على دخول السفن وخروجها. وامتدت مسؤوليات(البستانجي باشر) إلى الإشراف على مصادر المياه والغابات، ونظافة السراي، والإشراف على تجهيز الطيور والأغنام لمطبخ السلطان. بل كان من أبرز مهامه الإشراف على تنفيذ الإعدامات أحياناً[16].

ويأتي بعد هؤلاء المسؤولين، مجموعة أخرى تتكون من خمسة أمناء هم :

1-شهر أميني(أمين العاصمة).

وله وظيفتان هما :

أ. تسجيل مصروفات القصور الملكية.

ب. الإشراف على المباني في العاصمة، وعلى توفير المياه لها[17].

2-أمين دار سك النقود(ضرب خانة أميني).

ومقره في باحة السراي،ويعمل معه أكثر من خمسمائة عامل،وهو يعتبر من موظفي القصر السلطاني[18].

3-أمين المطبخ(مطبخ أميني).

ويساعده عدد من الطباخين والخدم والمجندين، بلغ عددهم عام 1514م منهم(230) طباخاً، والمطبخ يحتوي على قسم خاص لإنتاج طعام السلطان، وآخر لصنع الفطائر والحلوى[19].

4-أمين الشعير(أربا أميني).

مهمته الأولى توفير العلف للاصطبلات السلطانية، وهو مسؤول عن شراء القمح من المزارعين[20].

ويعمل في القسم الخارجي(خدمة الخارج)عدد كبير من العساكر والجنود والموظفين مثل: الشولاق باشي(رماة النبال)، وأوجاق البيكي(حرس الشرف للسلطان) ويرتدون زياً عسكرياً فخماً، ويحيطون بموكب السلطان، والجواويش الذين يقودون المواكب السلطانية، ويحرسون القصر، ويعملون على نقل أوامر السلطان إلى حكام الأقاليم وقادة الجيش، ويحفظون النظام خلال جلسات الديوان، واحتفالات القصر، ورئيسهم(الجاووش باشي) كان يعمل مع رئيس حراس الأبواب كرئيس للتشريفات.وكذلك أوجاق البلطجية أو الحطابين، الذين امتدت واجباتهم إلى حراسة الحريم حين خروج السلطان إلى

الحرب، وحماية الاجتماعات التي تجري في القصر، ومقاومة الحرائق داخل السراي، إضافة لعدد كبير من أصحاب المهن والحرف كالخياطين والنساجين، والنجارين، والصائغين، والغسالين، والكوائين، وغيرهم، والأئمة والمعلمين والمؤذنين[21].

المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني

ثانياً : القسم الداخلي(الأندرون)

وهذا القسم هو حلقة الوصل بين(خدمة الخارج) وبين الخاص(الحرم السلطاني)، ويعمل فيه مجموعات من الخصيان البيض والسود. ويسمون أغوات الداخل، أي العاملين في خدمة السلطان داخل قصره وأطلق عليهم أيضاً اسم(أندروني همايوني).

كان العنصر السائد في القصر السلطاني من الخصيان هم الخصيان البيض القادمون من أصول قفقاسية، ويسيطرون على خدمة الداخل وخدمة الحريم، ورئيسهم يسمى(القابي أغاسي) كان منوطاً به الإشراف العام على شؤون القصر وكذلك على الأوقاف في الدولة ومنها أوقاف الحرمين الشريفين.لكن الأحوال تبدلت منذ فقدهم مكانتهم نهائياً على يد السلطان محمد الثالث في عام 1595م، عندما أعطى لمنافسيهم الخصيان السود سلطاناً أوسع وعلى حساب سلطان البيض، وخاصة في مجال الإشراف على الأوقاف والحريم[22].

أما الخصيان سلطان السود فهم من أصول أفريقية، كان خديوي مصر يتولى جلبهم إلى السراي، وكان الحصول عليهم يتم أيضاً عن طريق أسواق الرقيق، ورئيسهم يسمى(آغا دار السعادة)أو(دار السعادة آغاسي) أو(آغا البنات) وهو يتمتع بمرتبة مرموقة ليس القصر لكونه الرئيس الأعلى للقصر، بل إنه يتمتع بمكانة مرموقة على مستوى الدولة فهو الرجل الثالث بعد الصدر الأعظم، وشيخ الإسلام ويحمل رتبة وزير، ويحمل الوشاح الكبير المرصع، ومن حقه الإشراف على الأوقاف[23].

وبرغم تحريم الشريعة الإسلامية لظاهرة الخصيان، إلا أنها بقيت موجودة في المجتمع العربي الإسلامي، وظل القصر العثماني يحوي أعداداً كبيرة منهم، بل يعتمد عليهم اعتماداً يكاد يكون كليًا في تصريف الحياة اليومية داخل القصر السلطاني[24].

وفور وصول الخصيان إلى القصر،تجري لهم عملية تدريب وتعليم منهجية وشاقة، تتضمن مهارات سلوكية وذهنية وبدنية ؛ فيجري تعليم اللغة التركية، والقراءة والكتابة، وآداب السلوك الاجتماعي، وأصول البرتوكول في

القصر السلطاني، والثقافة الإسلامية، والعلوم الاجتماعية المختلفة، والتدريب البدني الشاق، وعدد من المهارات العسكرية[25].

وظائف الخدمة الداخلية

١) الخزانة

وفيها عدد من الوظائف مثل : رئيس قسم العمائم (الجمجمي باشي)، ورئيس الكتاب (بازجي باشي أوباش أفندي)، ويساعده عدد من اليازجية، وكذلك مدير المكتبة وهو مسؤول عن جميع مكتبات القصر ويسمى (كتب حافظ سي)، وحافظ الحساب الخاص ويسمى (جنطه جي) وله الحق في التفتيش على سجلات المخازن وموجوداتها[26].

وإدارة الخزينة مسؤولة عن حفظ الأشياء الثمينة والتحف النفيسة التي حصل عليها السلاطين بعد فتح القسطنطينية وفتح مصر، وفيها مجوهرات وفراء وصور زيتية،تعود لعدد من السلاطين منذ محمد الثاني الفاتح، وقد تحفظ فيها مقتنيات بعض الحريم المقربات. وكانت محتوياتها تدقق باستمرار، ولا تفتح المخازن هذه إلا ضمن لجنة مسؤولة وأعراف محددة[27].

٢) خدمة العنابرة

وتقدم مجموعة من الأعمال والوظائف هي :

أ. البشكيرجي : أو مدير المناشف، ويشرف على نظافة الطعام والشراب المقدم للسلطان، ونظافة الأواني المستخدمة.

ب. البتسي جي ايسكي سي : مدير الصواني، ووظيفته تقديم الملاعق والأشواك الفضية إلى السلطان.

ت. موم ساغردي(تلميذ الشموع)، ووظيفته تزويد الغرفة التي تضم البردة النبوية الشريفة بالشموع.

ث. انا فتر غلامي، أو مسؤول المفاتيح. وظيفته تفتيش المنامات وبصحبته عدد من الحراس.

ج. الشربت جي، يرافق السلطان في رحلاته وموكبه، ومعه كميات من الطعام والشراب وأدوات الأكل والغسل.

ح. اليامش جي : حامل الفواكة.

خ. الطرش جي : حامل المخللات.

د. صوقولف جي : حامل المياه، أي السقاء، وكانت المياه العذبة تجلب للقصر على ظهور البغال[28].

٣) غرفة الحرب(سفري أودوسي)

وأصل التسمية مرتبط بالحرب(سفر برلك)

وخروج السلطان محارباً، فنشأت الحاجة لوجود مجموعة مرافقة في هذه الظروف لتقديم الخدمة له، لكنها ظلت قائمة خلال فترات السلم ووجود السلطان داخل القصر.

1 - جاشيو باشي(رئيس الكوائين).

2 - مهتر باشي(رئيس فرقة الموسيقى).

3 - حمام باشي(رئيس الحمامات).

4 - شارق جي يا مغز(مساعد لفاف العمائم[29].

ثالثاً : قسم الحريم

الحريم هو جناح خاص بالسلطان وعائلته أي أزواجه وجواريه وأولاده، ومن يقوم على خدمته من الجواري والخصيان(الطواشية)[30]. والمعلومات حول قسم الحريم يحيطها الغموض، نظراً لما يحاط بهذا القسم من خصوصية وكتمان وسرية.

تحيط بقسم الحريم أسوار عالية، وإجراءات حراسة مشددة، ويربطه بأقسام القصر الأخرى ممر طويل له أربعة أبواب اثنان من الحديد والآخران من البرونز، ويحرسها الخصيان السود، ولا يسمح لأحد من الذكور بدخول «الحريم» سوى السلطان والخصيان، ولا تستطيع إحدى النساء أو الجواري مغادرته إلا بإذن شخصي من السلطان نفسه، وضمن شروط ومحددات يجري تطبيقها بتشدد وصرامة.

والحريم يتكون من جناح خاص للسلطان وجناح السُّلطانة الوالدة، وهي السيدة الأولى في القصر والدولة. وأجنحة خاصة بكل واحدة من زوجاته(القوادن)، وأجنحة لأولاده وبناته[31].

الجواري

وهن من الفتيات الصغيرات اللواتي يتم جلبهن من أوروبا، أو من خلال البيع والشراء في أسواق الرقيق، أو يأتين كهدايا للسلطان من كبار رجالات الدولة، للعمل والخدمة داخل القصر السلطاني، وهن من أصول إيطالية أو يونانية أو صربية أو روسية أو قوقازية[32].

تدريب الجواري

كن يدخلن القصر وفي أغلب الحالات لم يكن قد تجاوزن العاشرة، فيخضعن لتدريب طويل على مختلف أنواع الفنون والمهارات والبروتوكول، ويجري تعليمهن اللغة التركية، والقراءة والكتابة، والثقافة العامة، والسلوك الاجتماعي، والمهارات الفنية كالموسيقى والرقص، والغناء، إلى جانب التطريز والخياطة وفنون الطبخ، ويعطين أسماء جديدة، ويدخلن في سلك المستجدات(عجمي)،

وبعدها يجري تخصيص عمل محدد لكل منهن يناط بها، أو مجموعة أعمال ملائمة لقدراتها وطبيعتها[33].

طبقات الجواري

ا) القوادن(قادن لر) السيدات

وهي جمع(قادن)(Kadin) وهي كلمة تركية معناها السيدة.فقد كان السلاطين منذ عهد محمد الفاتح،قد عزفوا عن الزواج الشرعي التقليدي، وراحوا ينتقون أربعاً من أجمل الجواري في الحريم لاتخاذهن كزوجات، وكن يعاملن بتقدير خاص داخل الحريم كما لو كن الزوجات الشرعيات، وأطلق عليهن الاسم(قادن لر) والواحدة(قادن). ولكل واحدة جناحها الخاص في الحريم، ولها وصيفاتها، وخدمها وحراسها من الخصيان، ولها نصيبها من المخصصات والإيرادات بحسب مرتبتها ؛ فهن مصنفات إلى مراتب ؛ القادن الأولى، والثانية والثالثة والرابعة[34].

وترتفع مكانة(القادن) إذا حملت من السلطان؛ وترتفع مكانتها أكثر إذا أنجبت له ولداً ذكراً ؛ فتسمى في هذه الحالة(خاصكي سلطان) وهي مكانة مرموقة تقارب مكانة السلطانة. أما إذا أنجبت أنثى ؛ فتسمى(خاصكي قادن). وحلم كل(قادن) أن يصبح ولدها سلطاناً في المستقبل، وإذا ما تم لها ذلك ستكون هي السيدة الأولى، فتصبح (السلطانة الوالدة) ذات المكانة الرفيعة. والأوامر النافذة على الجميع بمن فيهم الصدر الأعظم الذي يتلقى الأوامر منها بشكل مباشر[35].

أما إذا لم تنجب الجارية من السلطان، فتعود لتنضم إلى طابور طويل من المحظيات أو الجواري[36]، ويحق لها بعد سن الخامسة والعشرين أن يحدد مستقبلها، فإما أن يعتقها السلطان، أو يأمر بتزويجها من أحد كبار رجالات الدولة من المدنيين والعسكريين[37].

كما يحق لها أن تطلب الخروج من الحريم بأن تكتب على ورقة عبارة :»العبد ومراده والإحسان من سيدي « وتوقع عليها، ثم تضعها في مكان ملفت للنظر، وتعتكف في غرفتها لا تبرحها حتى يأمر السلطان بتجهيزها، ويعطيها بعض المال،ثم يرسلها إلى أحد بيوت موظفي السراي،فتظل هناك إلى أن تتزوج، ومن حقها الحصول على مكافأة عند انتهاء خدماتها في الحريم، وبحسب سنوات خدمتها، والتقدير الذي نالته[38]. وفي العادة تنتقل جميع جواري السلطان وحريمه عندما يموت إلى القصر القديم المخصص لحريم السلطان السابق، طبعاً يستثنى من تكون أصبحت أم السلطان الجديد[39].

٢) المتميزات(جيديك لر)

ومن بينهن يتم اختيار القوادن، ومنهن أيضاً تختار السيدة المشرفة العامة والمسؤولة الأولى عن إدارة الحريم، وتسمى(كافيا قادين) أو(المعلمة)، كما تختار من هذه الفئة، مساعدتها وهي مديرة الخزانة، وهي المسؤولة عن مالية جناح الحريم ونفقاته، وتسمى(خزينة دار أوسطى) أو الخازنة[40].

٣) الأسطوات (الاستاذات)

ويقمن على خدمة السلطانة الوالدة، وخدمة القوادن وأطفالهن[41]. وتسمى رئيستهن «كافيا سلطانة والدة، وهي مديرة أعمال السلطانة الوالدة، ويساعدها في أعمالها عدد من الجواري، ولكل واحدة عملها الخاص بها[42]، وهن :

جماشير أسطى(عاملة الملابس)، وهي معنية بغسل الملابس، وملابس السلطان تغسل سبع مرات في طسوت من الفضة، ثم تعلق على حبال خاصة في الحديقة، ثم تجمع للكي، ثم تحمل إلى جناح السلطان وتسلم إلى مساعدات الخازنة.

جيثنار أسطى(ذائقة الطعام)، وهي مهتمة بتذوق الطعام، والإشراف على أطقم الطعام والمائدة، ولها عدد من المساعدات.

بربر أسطى(عاملة الحلاقة)، وهي معنية بأدوات الحلاقة الخاصة بالسلطان.

كيلارجي أسطى(أمينة المؤن)، وهي معنية بمخازن المؤن، وأدوات الطعام.

ابريقدار أسطى(حاملة الإبريق)، ولها مساعدات كحاملة الطست، وحاملة الإبريق، وحاملة الصابون، وحاملة المنشفة.

قهوجي أسطى(عاملة القهوة)، وهي معنية بتقديم القهوة للسلطان، ولذلك العمل أصول ومراسم خاصة[43].

٤) الجواري(التلميذات)

وهن الجواري المستجدات،اللواتي وصلن حديثاً إلى القصر، وما زلن يخضعن للتدريب والإعداد على فنون العمل وأصوله[44].

٥) الخادمات

وهن عدد الخادمات اللواتي لا يرتفعن عن هذه المرتبة أبداً، وهن يشكلن أقل الطبقات مرتبة في الحريم السلطاني[45]. ولا يشترط فيهن أن يتمتعن بالجمال والذكاء الذي يؤهلهن لمهام أخرى.

ومما هو معروف أن كل جارية تعيش أبداً على أمل أن تأتي اللحظة التي تنال فيها إعجاب السلطان أثناء زيارته لجناح السلطانة الوالدة، أو أثناء الاحتفالات، أو الاستعراض الخاص الذي كان يقوم به بعض السلاطين لطابور الجواري، فإذا عبّر عن إعجابه بإحداهن، تكون تلك الليلة ضيفته في جناحه الخاص، وهي لن تضيع هذه الفرصة التي قد لا تتكرر عسى أن تنال إعجابه وتقديره فيعاود استضافتها في مرات أخرى وقد تكون إحدى المحظيات وبالتالي القوادن[46].

والحريم السلطاني فيه مشفى خاص بالجواري، تديره إحدى الاسطوات، وموجود في(طوب قابي)، تنقل إليه كل من تصاب بمرض ويتم معالجتها هناك. وإذا ما توفيت إحدى الجواري في الحريم، فإنها تنقل إلى إحدى بيوت موظفي السراي لتخرج جنازتها من هناك إلى المقبرة،أما الأمراء والأميرات والزوجات عندما يتوفى أحدهم فإنه يجهز ويكفن في سراي(طوب قابي)[47].

وكان للجواري على اختلافهن دور هام في حياة

القصر، بل في حياة السلطان والدولة، وكن يتمتعن بنفوذ هائل من السلطان ورجالات الدولة والحكم، بل لعبن في بعض العهود دوراً خطيراً في الحياة السياسية والألاعيب والمؤامرات والدسائس. وكان الحريم يشهد حرباً غير معلنه بين السلطانة الوالدة وزوجات السلطان أو القوادن، كما كان هناك صراع تقليدي بين(القوادن) كل واحدة تبتغي السيطرة على قلب وعقل السلطان،وتريد تهيئة الظروف ليكون ولدها هو السلطان القادم[48].

وهناك أسماء لامعة عرفها التاريخ العثماني لجواري لعبن دوراً سياسياً خطيراً في الحياة السياسية للدولة. منهن الجارية الروسية وقيل اليهودية روكسلانا التي تزوجها السلطان سليمان القانوني[49]. وهناك الجارية الإيطالية صفية زوجة السلطان مراد الثالث(1574-1595م) وأم السلطان محمد الثالث(1595-1603م)، التي سيطرت تماماً على زوجها وولدها من خلال إغراقهم في بحر من اللذة مع الجواري الجميلات اللواتي تجلبهن لهما، وخاضت حرباً طاحنة مع السلطانة الوالدة والأميرة أسمات شقيقة زوجها السلطان مراد الثالث، على النفوذ والسيطرة وقد تمكنت من لعب دور هام في السياسة الخارجية للدولة يخدم مصالح بلدها البندقية. وتمكن أخيراً حفيدها السلطان أحمد الأول(1603-167م) من التغلب عليها حيث نجح في تغليب نفوذ والدته، فتخلص من صفية بسجنها حتى وفاتها[50].

أما السلطان إبراهيم الأول(1640-1648م) فقد أهمل شؤون الحكم وتركها لوالدته والقادنات، اللواتي حرضنه لقتل عدد من الصدور العظام،وتفرغ هو لحياته العابثة مع الجواري[51]، وفي عهد السلطان محمد الرابع(1648-1687م) جرى صراع قوي بين جدته(كوزم) ووالدته(طرفانه) ،لكن طرفانه السلطانة الوالدة تغلبت على الجدة التي قتلت عام 1651 على يد الحرس ؛ فاستفردت طرفانه بتصريف شؤون الدولة بدلاً من السلطان الطفل الذي تولى السلطنة وهو ابن سبع سنوات. وانصرف هو لحياة اللهو والعبث، وفي عهده اشتهرت الجارية ربيعة جولش التي عملت(خاصكي قادين) وهي يونانية الأصل[52].

ولم ينقطع بطبيعة الحال نفوذ النساء في القصر العثماني عبر العهود المختلفة، وإلى وقت متأخر، فهذا السلطان عبد العزيز(1861-1876م) سمي(غادي النساء) و(المتهتك) لفرط شغفه بالنساء[53]. وفي عهده بلغ عدد الجواري في القصر 900جارية يحرسهن 300 خصي[54]. وكان العدد في عهد السلطان سليمان القانوني(1520 1566-م) قد بلغ 300جارية[55].

الخصيان

عرفنا أن الخصيان البيض والسود، كانوا عنصراً طاغياً في القصر السلطاني، وتعرفنا على واجباتهم وأعمالهم، لكن دورهم الأهم وواجبهم الأساسي الذي لولاه لما اختير هؤلاء الخصيان لدخول القصر، وهو حراسة وخدمة الجواري، وتأديبهن ومتابعة شؤونهن كافة، ولا يخفى عليهم خافية داخل الحريم ومن حقهم الوصول إلى كل مكان، وبكل حرية نظراً للثقة الزائدة بعدم فحولتهم، التي يقال بأنها لم

تكن تنزع منهم بالتمام، نظراً لأن قطع الأعضاء الخارجية للخصي، لا تمنع غدة البروتستات المسؤولة عن الشهوة الجنسية من ممارسة عملها[56].

وقد ساهم الخصيان في مؤامرات الحريم ودسائسهن السياسية، وعملوا على مناصرة أحد الأطراف ضد الطرف الآخر، فقد كانوا مركز قوة يهاب جانبها من قبل رجالات الدولة،بل شمل نفوذهم السلطان نفسه، خاصة وأن(آغا دار السعادة)أو(آغا البنات) كان صاحب مكانة مرموقة على الصعيد السياسي تأتي بعد كل من الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، وقد تمكن الآغا كبير الخصيان أن يعزل السلطان مصطفى الأول(1618-1616م)وأن يعين بدلاً منه السلطان عثماني(1622-1618م) وذلك بمساعدة المفتي والانكشارية[57].

الجناح الخاص بالسلطان(السلاملك)

يقع هذا الجناح في وسط الحريم، ويتكون من غرفة نوم السلطان، وقاعة واسعة للاستقبال والصلاة،وحمامات خاصة، وهذا الجناح يربطه بأجنحة القصر الأخرى ممر طويل مرصع، وفي هذا الجناح يعيش السلطان وينام ويستقبل من يريد من الزوجات أو القوادن أو المحظيات،

في وقت محدد ومواعيد مرسومة وبناء على طلب منه وبتنظيم من(الكايا) وهي الجارية الخبيرة بتدبير خصوصيات السلطان[58].

ويقوم على خدمة السلطان في جناحه الخاص عدد كبير من الجواري والخصيان، لكل منهم مهامه المحددة،وواجباته الواضحة[59].

وظائف وخدمات الخصيان في الجناح الخاص

1) السلحدار، ومهمته في الأصل سيف السلطان، وحراسة أسلحة السلطان وصيانتها، ثم صار من واجباته مرافقة السلطان منذ الفجر إلى حين عودته إلى جناحه الخاص في وقت متأخر من المساء. وهو المكلف بتبليغ أوامر السلطان(الإرادات) إلى الضباط والموظفين، ويشرف على سير الحفلات التي يحضرها السلطان، وهو مؤدب الخصيان،ويستقبل القادمين الجدد منهم،ويرتب أمور المتقاعدين منهم. ويعاونه عدد كبير من الخصيان، منهم المعلمين،ومسؤول الثياب(قفطانجي) ،ومسؤول التبغ والتنباك(توتنجي) وخدم وصقارين، وطباخين وسقائين، وغيرهم. وعندما ينحى السلحدار من موقعه هذا يجري تعيينه والياً على مصر أو على إقليم هام آخر[60].

2) الركاب دار، ومهمته مصاحبة السلطان أينما ذهب، وأن يمسك ركائب الحصان حين يمتطيه السلطان أو يترجل عنه.

3) الجوقدار، يسير في المراسم إلى يمين السلطان، ويقوم بنثر حفنات من العملات الفضية المضروبة حديثاً على الجماهير، أثناء موكب السلطان. وهؤلاء الثلاثة هم الوحيدون الذين يسمح لهم من الآغوات بوضع العمائم فوق رؤوسهم، أما الآخرون فيضعون قلنسوات مطرزة.

4) آغا العمائم(دولبند آغاسي)،يحمل مع مساعديه عمائم السلطان لعرضها في المواكب،وهو يشرف على غرفة البردة النبوية[61].

5) انختار أغاسي(آغا المفاتيح)،إضافة لعمله المتعلق بحفظ المفاتيح،فهو الذي يوزع العمل بين العاملين في الغرفة الخاصة، ويراقب نهوضهم المبكر،وذهابهم للجامع لأداء الصلاة، ومراقبة النظافة، ويشرف على مائدة طعام السلطان.

6) الباشي بشكير أغالر أو(رئيس أغوات المناشف)، كان عمله محصوراً في تقديم المناشف للسلطان،ثم صار من مهامه الإشراف على(الخاصة أوده ليه) أي عمال الغرفة الخاصة الذين يرافقون السلطان عندما يغادر قصره إلى إحدى المقرات الصيفية.

7) بنش بشكير أغاسي(الآغا الراكب للمناشف)، وعمله الوحيد هو مساعدة الباشي بشكير، عندما يخرج السلطان ممتطياً جواده.

8) الإبريق دار آغا(آغا الإبريق)، وظيفته سكب الماء على يدي السلطان حين يريد غسلهما[62].

وهناك من هم أشد قرباً من كل هؤلاء للسلطان، وحياته الشخصية اليومية، وهم :

1) الباش جوقدار، وهو(رئيس الخدم)، ويساعده أربعون من الخدم، كما يساعده رئيس خدم الغرف السفلي(ايكنجي جوقدار)، ومهمته المساعدة في حمل نعال السلطان حين يخرج للركاب،كما يساعده(جزمة جي) وكان مكلفاً بحمل أحذية السلطان، والإشراف على تجديف زوارق القصر(الصنادل).

والباش جوقدار يقوم بعدة مهام منها : التفتيش على مخازن الاصطبلات السلطانية، واستقبال الصدر الأعظم،وشيخ الإسلام، وكبار رجالات الدولة حين يأتون لمقابلة السلطان. كما كان مسؤولاً هو ومساعديه عن جميع الشكاوى من الناس في الطريق حين خروج السلطان[62].

2) سر كاتبي(كاتب السر)، وهو صاحب مكانة خاصة نظراً لاطلاعه على أسرار الدولة، ومن مهامه : أن يفض أختام التلخيصات التي يقدمها السلحدار للسلطان، وأن يكتب أجوبة وردود السلطان، ويقدمها للتوقيع ثم يرسلها إلى خدمة الخارج، ويحتفظ بالمراسلات، ويأمر معاونيه بتخليص الشكاوى التي تجمع أثناء خروج السلطان، وتقديمها مع أصولها إلى السلطان؛ وهو يتبع حزامه علامة منصبه، وهو حافظه ذهبية للأقلام[64].

3) شرف جي باشا(رئيس لفاي العمائم)، يحتفظ مع مساعديه بكل أنواع العمائم التي يلبسها السلطان على كراسي مذهبه في غرفة تدعى(شارق أوده سي). وكانت العمائم إذا ما لبست مرة واحدة أعيد فكها وتنظيفها ثم لفها من جديد. أما(الفاروق) أي لباس الرأس الذي تلف حوله العمامة فيعطى للتنظيف لآغا آخر يدعى(قاووقجي)[65].

4) قهوجي باشي، مهمته هي تجهيز القهوة وتقديمها للسلطان بعد صلاة الفجر،وبعد الغذاء وفي المساء[66].

5) المؤذن باش، وهو المؤذن الخاص للسلطان، ويؤذن في أي جامع يختاره السلطان للصلاة فيه يوم الجمعة، وله عدد من المساعدين يعلمهم على الآذان، ومن هؤلاء (سري ممغلى)، رئيس الركن، وهو المكان الذي يؤدي فيه السلطان الصلاة عند حضوره إلى الجامع.

6) التفنكجي باشي،(حارس البنادق)، يحفظ بنادق الصيد ويصونها، ويرافق السلطان في رحلات الصيد.

7) رئيس الحلاقين(بربرباشي)، ويقوم بحلاقة السلطان شخصياً، ويقوم بجمع الشعر المحلوق بعناية فائقة ويجمعه في صندوق خاص، ليرسل سنوياً إلى المدينة المنورة حيث يدفن هناك بكل احترام.

8) الطرناقجي،وهو يقوم بالعناية بأظافر السلطان وتقليمها.

9) الباش لا لا(رئيس المعلمين)، ولديه صندوق يحوي عقاقير وأدوية نادرة، ويساعده خمسة موظفين لتحضير الوصفات من هذه العقاقير تحت إشراف صيدلي يعمل بأوامر الحكيم باشي. وهو يحضر جميع وجبات طعام السلطان[67]. ولدى السلطان عدد من الأطباء،وأطباء العيون، والمعالجين بالأعشاب الطبية. وآخرون في صناعة العطور ورشها في مواكبه وعلى ملابسه وفي طريقه وهناك من هو متخصص في التنجيم[68].

طعام السلطان

هناك مراسم محددة ومواعيد دقيقة لتقديم وجبات طعام السلطان. ويشارك في هذه العملية المعقدة عدد كبير من الكيلارجية(الطباخين) العاملين في المطبخ الخاص، إضافة إلى عدد كبير من الجواري والخصيان المختصين بالبروتوكول السلطاني وشؤون إعداد المائدة. والطعام يقدم في أواني خاصة من الخزف الأبيض المطلي بالذهب والتي تحمل علامة السلطان الخاصة[69]. كما تقدم وجبات الطعام الخاصة بالسلطان في مواعيد محددة، فهي طعام الغذاء الساعة الحادية عشرة، وطعام العشاء الساعة الخامسة

مساءً.

أما في وجبة الغداء ؛ فتقدم الأصناف التالية : البيض المسلوق،أو المقلي في السمن، أو العجة،ولحم الضأن الخالي من العظام مشوياً، والكتليت المقلية بالبيض، أو ريش الضأن المقلي. ومن الأسماك هناك سمك القادس، وسمك ابن عرس، وأحياناً الفطائر، أما الحلويات فهي : القطايف بالقشدة، والرز باللبن والمهلبية، ومن الحلويات الإفرنجية الشارلوت.

وفي وجبة العشاء تقدم أصناف أخرى، مثل مرق اللحم والشربة والفواكة(الفراولة، الشمام،البطيخ، الخوخ). وبعد أن ترفع المائدة تقدم البقايا ليتناولها العمال والحراس[70].

وبعض الولائم تتكون من مئات الأطباق، وكان الطبق الرئيسي للوليمة في القصر يحتاج إلى 200 خروف أو ما يماثلها من لحوم، وتنتهي كل مائدة بالفواكة والحلويات التركية، أما الخمور فلا تقدم بشكل رسمي مع أن بعض السلاطين كانوا مولعين بها[71].

الأولاد والبنات(الأمراء والأميرات)

ويضم الحريم إلى جانب السلطان وجواريه، والخصيان، أعداداً قد تزيد أو تنقص من الأبناء والبنات.وهناك برامج خاصة للأمراء ؛ فهم يتلقون دراسات مدنية وعسكرية واهتماماً بالجوانب الدينية والثقافية العامة واللغات

إلى أن يحين وقت مغادرتهم البكرة للقصر لاستلام الحكم في المدن والمقاطعات، ويأخذ معه إلى موقعه الجديد حاشيته الكبيرة من الجواري والخصيان والحرس ليعيش كسلطان صغير.

أما الأميرات فهن يتلقين دراسات خاصة في الدين واللغة التركية وإحدى اللغات الأخرى، والموسيقى والثقافة النسائية العامة، ويبقين في القصر حتى يأمر السلطان بتزويج إحداهن إلى أحد كبار رجالات الدولة كالصدر الأعظم أو أحد الوزراء أو الضباط، فيغادرن القصر السلطاني[72] .

ويوجد داخل السراي، وخلف دائرة الحريم، سجن خاص للأمراء من أبناء العائلة الحاكمة سوى أبناء السلطان،يسمى(القفص)[73]. ويمنع على هؤلاء الأمراء أي اتصال بالعالم الخارجي، ويقضون حياتهم بصحبة الخصيان والجواري والخدم[74].

المناسبات والاحتفالات في القصر السلطاني

كان القصر السلطاني يشهد احتفالات متنوعة

بحسب نوعية المناسبة، ويشارك فيها أعداد كبيرة من العساكر والموظفين والخدم، وكبار المسؤولين، ويمتد بعضها لأيام عدة، وتقدم فيها الموائد والولائم الكبيرة[75]. ومن أبرزها :

1) مناسبة اعتلاء السلطان العرش(التتويج) :

وهذا احتفال يجري على مستوى القصر والعاصمة، ويتم تقليد السلطان الجديد سيف عثمان في مسجد أبي أيوب الأنصاري، على يد رئيس دراويش المولوية الذي يجئ خصيصاً من مدينة قونيه لهذه الغاية. وتجري الاحتفالات بهذه المناسبة في جميع شوارع العاصمة، وتضرب المدافع، ويحضر السلطان الاحتفال الرئيسي في الجامع[76].

وفي هذه المناسبة يستقبل السلطان كبار رجالات الدولة والقادة العسكريين، والسفراء الأجانب مهنئين له، وتمتد هذه الاستقبالات ليوم كامل في القصر السلطاني، ينتقل السلطان إلى الحريم ليستقبل التهاني، وتوضع الزينة والمصابيح والرايات في حديقة السراي، ودائرة الحريم، ويتلقى السلطان الهدايا بهذه المناسبة من الأمراء والأميرات والزوجات، وتعزف الموسيقى الهمايونية[77].

٢) صلاة الجمعة (التشريفة)

من التقاليد السلطانية ذهاب السلطان في موكب رسمي لأداء صلاة الجمعة،راكباً حصانه الأبيض المزين بالجواهر، مخترقاً بموكبه المهيب شوارع العاصمة وسط الحشود،كما كان يفعل السلطان سليمان القانوني، وفي معيته عدد كبير من الحرس والخدم، وبعد الصلاة يعود إلى القصر مع ضيوفه لتناول طعام الغذاء في القصر[78].

وفي عهد السلطان عبد الحميد كانت مراسم الصلاة يوم الجمعة تسمى مراسم تقديم تحية الجمعة(التشريفة)، حيث يخرج السلطان في الوقت المحدد مرتدياً ملابسه الرسمية، وتسبقه عربات الحريم حيث أن الأميرة الوالدة والخزينة دار تشاركان بحكم البرتوكول، والأميرات وزوجات السلطان – إن أردن –، يرافقهن الأميرات المتزوجات وزوجات الوزراء ووالدة خديوي مصر تحضر كل أسبوعين هذه المراسم، أما الأمراء فيشتركون على رأس الطوابير،(طابور البحرية، طابور أرطغرل للخيالة، طابور الخيالة ذوي المزاريق، طابور المدفعية، بلوك المعية(الحرس الخاص).

وتعزف الموسيقى عند خروج عربة السلطان من باب السلطنة، وتهتف العساكر، ويقوم شيخ الإسلام باستقبال السلطان عند باب المسجد، وفي العودة يقود السلطان عربته الخاصة ذات الحصانين بنفسه، ويحضر بعض السفراء لمقابلة السلطان في المابين الهمايوني بعد عودته[79].

٣) شهر رمضان في القصر

تجري استعدادات كبيرة لاستقباله قبل أسبوع من بدايته، وفي أول ليلة تسدل الستائر المذهبة على كل أجنحة القصر، وتفرش سجاجيد الصلاة. وتوزع الأطعمة على الأجنحة، ويقدم الوعاظ الدروس، ويوزع ماء زمزم عند الإفطار، ويؤدي السلطان صلاة التراويح مع أولاده ورجاله وضيوفه، ولا تعزف الموسيقى في شهر رمضان، وتوزع العطايا(كراء الأسنان)،وفي منتصف رمضان يزور السلطان والسلطانة الوالدة والأمراء والأميرات والزوجات وزوجات الوزراء

البردة الشريفة ويكون آغا دار السعادة مكلفاً بإخراج البردة من الصندوق الذهبي، ويقدمها للسلطان[80].

٤) ليلة القدر

ويجري احتفال كبير، وموكب مهيب للاحتفال بليلة القدر، ويخرج الموكب من السراي إلى الجامع،ويلبس السلطان وحاشيته والضيوف الملابس الرسمية، وفي الجامع يجري الاحتفال الذي توزع فيه فطائر الخبز المحشو بالجبن، والعصائر اللذيذة القادمة من الكيلار الهمايوني، وتطلق المدافع إلى حين انتهاء الصلاة[81].

٥) العيد

تبدأ الاستعدادات في القصر لاستقبال العيد قبل أسبوع من موعده، وصبيحة يوم العيد يخرج السلطان في موكب مهيب للصلاة، حيث يركب عربته الملكية ذات الخيول الأربعة، وتعزف الموسيقى، وتصطف الوحدات العسكرية على جانبي الطريق الذي يسلكه موكب السلطان، وبعد عودة السلطان إلى السراي تبدأ مراسم تهنئة السلطان، وتتم في قاعة المعايدة،ويحضرها الأمراء والباشوات أصهار السلطان والباشكاتب(السكرتير الأول) ويجلسون خلف السلطان،ويتقدّم المهنئين الصدرُ الأعظمُ والوزراء الذين يقبلون حافة كرسي العرش الجالس عليه السلطان. ثم يدخل العلماء وفي مقدمتهم شيخ الإسلام الذي يشرع في الدعاء، والسلطان يرفع كفيه للسماء، ثم يسلم عليه البطارقة، ورئيس الحاخامات، ثم يدخل الباشوات والضّباط والموظفون، والموسيقى العسكرية تواصل العزف، وبعدها توزع الحلوى.

وبعد هذه المراسم يدخل السلطان إلى جناح الحريم لتناول طعام الغذاء وتلقي التهاني، وفي هذه الأثناء توزع الحلوى، وتعزف الموسيقى، وتقدم العروض المسرحية والألعاب.

وفي عيد الأضحى تكون الأضاحي سمة أساسية من سمات احتفالات القصر السلطاني بالعيد، إذ يقدم السلطان الخراف إلى الأمراء والأميرات والوزراء في موكب رائع. حيث يتم إحضار هذه الخراف إلى السراي وفي مقدمتها ناظر الخزانة الخاصة، وتمر من أمام نافذة السلطان، وتكون الخراف قد صبغت بألوان مختلفة، ووضعت في أعناقها شرائط ملونة وحبال يمسك بها رجال يرتدون معاطف موشاة مطرزة وسراويل خضراء وعمائم موشاة ذات أهداب، وبعد وصولها يمسح السلطان على أحدها بالسكين إيذاناً ببدء الذبح[82].

٦) احتفال المحمل الشريف(كسوة الكعبة)

وفي النصف من شعبان يكون موعد الاحتفال بخروج المحمل الشريف(كسوة الكعبة)، وهو شعار سيادة السلطان على الحرمين الشريفين، وله مراسم خاصة، حيث يدخل إلى السراي، ويخرج منها محمولاً على أكتاف الآغوات، يرددون التكبيرات والأناشيد الدينية ويضعونه في دائرة الحريم لتقدم الأميرات والزوجات والجواري الهدايا له يزين وينقل إلى دائرة آغا دار السعادة ليبيت تلك الليلة فيها، ثم يقام في اليوم التالي(موكب الصرة) حيث تقدم كل أميرة أو سيدة الهدايا باسمها إلى أحد المعارف أو

صديقاتها في مكة المكرمة لتوزّع على المحتاجين هناك. وتوضع هذه الصرر والأكياس مع المحمل، ثم يقام الاحتفال الرئيسي الذي يشهده السلطان من النافذة، حيث يوضع المحمل على نافذة جميلة الشكل قوية، وعالية ولا تستخدم لأي عمل سوى تلك المناسبة[83].

٧) الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

وهو شبيه باحتفال وموكب صلاة الجمعة، وفيه توزع المخصصات السنوية المقررة، ويقرأ المولد الشريف مساء الأيام المباركة في دائرة المابين الصغيرة بحضور السلطان وبمعيته كبار رجالات الدولة والجيش والأمراء والبشوات والبكوات، وخلف حواجز خشبية مطلية بالذهب تجلس الحريم، وتوزع الحلوى، حلوى (العقيدة) في أطباق من الفضة[84].

٨) الاحتفال بالعام الهجري الجديد

مع مطلع السّنة الهجرية الجديدة يجري احتفال كبير في السراي، يحضره أعداد من كبار المسؤولين والمدعوين، وتقدم المائدة الكبيرة في المابين، وأطباق مملوءة بأرباع الليرات والأرباع الفضية والقروش.

ويمر كل شخص فيأخذ منها حسب رتبته وموقعه، وتسمى هذه النقود (محرمية) أو (بركة العام) ويوزع مثلها داخل الحريم[85].

٩) يوم عاشوراء

وفي اليوم العاشر من شهر محرم، يجري الاحتفال بهذه المناسبة، ليصنع «العاشوراء» في الكيلار الهمايوني،وتوزع على أجنحة القصر في قدور كبيرة، ويرسل منها إلى أفراد العائلة خارج السراي، كما توضع في قدور في فناء الجامع الحميدي، لتوزع على الفقراء،وعلى العساكر في ساحة التعليمخانة، وترسل إلى المعسكرات والتكايا،وبدورها تتبادل العائلات المرموقة «العاشوراء « مع السراي[86].

١٠) عيد النيروز(أول أيام الربيع)

تصنع في هذا اليوم حلوى حمراء اللون، توزع في علب خاصة على أفراد الأسرة الحاكمة والوزراء ورجالات الدولة، والعاملين في السراي. واعتادت السفارة الإيرانية على إرسال حلوى مصنوعة على الطريقة الإيرانية إلى القصر السلطاني، في علب مزينة كهدية للسلطان، ومزينة بكتابة اسم السلطان على وجهها بالعملة الذهبية الإيرانية[87].

١١) أعراس الأميرات

يجري الاحتفال بتزويج إحدى الأميرات من أحد

أبناء كبار رجال الدولة في السراي وبحضور السلطان وكبار المدعوين، حيث تعزف الموسيقى الهمايونية، وتوزع الحلوى، وتقدم الهدايا، ويجري تجهيز العروس داخل الحريم، ويقوم شيخ الإسلام بعقد القران، وبعدها يقوم والد العريس بإحضاره إلى باب السلاملك. ومن هناك يأخذه آغا البنات إلى القاعة الخاصة حتى يجلسه على الأريكة الخاصة مع العروس،ثم يسير الموكب إلى غرفة العروس، وبعدها يخرج العريس وهو ينثر النقود الذهبية، وبعد صلاة العشاء يحضره الوالد مرة أخرى فيأخذه آغا البنات إلى الداخل ليدخل غرفة العروس[88].

١٢) أفراح الختان

تجري احتفالات لختان أبناء السلطان، وهنا يطيب للبشوات والعاملين في السراي والفقراء أن يستغلوا المناسبة لختان أبنائهم بمعية أبناء السلطان، فتقام سقيفة خاصة داخل السراي،ويمكث فيها المختونون خمسة أيام للعناية بهم، وتعرض لهم الألعاب السحرية والكراكوز،وتقدم لهم الهدايا والعطايا كل حسب قدره ومنزلته[89].

١٣) زيارات كبار الضيوف الأجانب

وفي الحالات التي يقوم بها زعماء الدول الأخرى بزيارة السلطنة، تقام على شرفهم احتفالات ومواكب رسمية، ويشارك السراي في هذه الاحتفالات حيث تقام حفلات الاستقبال الرسمية ويشارك فيها السلطان وكبار رجالات الدولة، وتعزف الموسيقات الهمايونية، مقطوعات تتصل بالبلد الذي يمثله الزائر الكبير، وهذا ما حدث في عهد السلطان عبد الحميد عندما استقبل الإمبراطور الألماني، والشاه الإيراني مظفر الدين، وملكة رومانيا، وغيرهم، حيث تشارك الأميرات في هذه الاحتفالات وحفلات العشاء الرسمية[90].

ميزانية القصر

من الصعب تقدير حجم نفقات القصر العثماني، لغياب السجلات والتقارير والمعلومات الدقيقة ؛ ولأن الظروف كانت في تبدُّل مستمر، والأحوال تتبدّل من جيل من السلاطين لآخر. كما أن أعداد القاطنين داخل السراي كان متحركاً نحو الارتفاع والانخفاض[91].

ومن الطبيعي أن قصراً بحجم السراي السلطاني، ويحوي هذه الأعداد الغفيرة من الخصيان والجواري والخدم والعساكر والموظفين، سيكلف الدولة نفقات باهظة، إلى جانب ما يحويه من فاخر الأثاث والمفروشات ومباهج الترف والزينة[92].

وقد بلغت أعداد الجواري في عهد السلطان عبد العزيز (1861-1876) حوالي 900 جارية، إلى جانب 600 موظف، وحوالي 300 طباخ ومساعد طباخ، وحوالي 600جواد من الخيول الأصلية ومئات من العاملين على خدمتها[93].

وكان بعض السلاطين يلجأ إلى فرض نوع من الضريبة لتوفير متطلبات الإنفاق على القصور ؛ فهذا السلطان إبراهيم الأول(1640-1648) فرض ضريبة سميت ضريبة الفراء وأخرى ضريبة الكهرمان، خصصت لهذه الغايات، وخاصة تغطية جدران القصر بالفراء[94].

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر كانت المبالغ المرصودة لنفقات القصر عالية جداً، وكان

يجري حشد مخزون هائل من المواد الغذائية لاستخدامها في القصر، ويتم ذبح أربعين خروفاً وأربع بقرات يومياً، ناهيك عن الحمام والدجاج ولحوم الصيد، وفي إحدى السنوات جرى استهلاك 16553 خروفاً في القصر[95].

وقدرت احتياجات السراي من اللحوم في العام 1650 بحوالي 6000رأس من الغنم، و20،000 رأس من العجول، و 200،000دجاجة، و 100،000حماحة و 3000 ديك رومي. وتأتي من كل أرجاء الإمبراطورية ؛فالبلح والفواكه من مصر، والزيت من اليونان، والزبدة من مولدافيا وهكذا... [96].

وجرت محاولات لخفض ميزانية السراي، لكنها كانت نفشل، فقد حاول السلطان عبد العزيز والسلطان عبد المجيد إدخال تعديلات على ميزانية القصر، لكنها كانت تواجه بعقبات كثيرة من قبل الحشد المترف الذي يعيش في القصر والذي اعتاد نمطاً خاصاً من الحياة. وكذلك السلاطين أنفسهم اعتادوا حياة الترف ورغد العيش .

خاتمة

إن هذه الدراسة تسلط الضوء ليس على الحياة الاجتماعية داخل القصر السلطاني العثماني فحسب، بل إنها تعطي دلالات وإشارات إلى ماهية النظام الإداري من ناحية، والمستوى الاقتصادي للدولة من ناحية أخرى. ولعل هذه الدراسة تكون معناها لدراسات أخرى نستفيد منها كتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدولة.

المصادر العربية

1) أفندي، إبراهيم : مصباح الساري ونزهة القارئ، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

2) أوغلي، عائشة عثمان : والدي السلطان عبدالحميد الثاني، مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، تعريب، د. صالح سعداوي صالح، أشرف على إعداد الطبعة العربية وقدم لها أ. د. أكمل الدين إحسان أوغلي، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، 1400هـ / 1980م.

3) باتريك، ماري ملز : سلاطين بني عثمان الخمسة، تعريب حنا غصن، كامل مروة، كامل صموئيل مسيحة، مطبعة صادر، 1933.

4) البكري الصديقي، محمد بن أبي السرور(998 – 1071هـ / 1661م): المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تقديم وتحقيق وتعليق د. ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، 1415هـ / 1995م.

5) بيهم، محمد جميل : فلسفة التاريخ العثماني، أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، صدر سنة 1373هـ / 1954م، دون مكان نشر.

6) جب، هاملتون، وهارولد بوين : المجتمع الإسلامي والغرب، وأثر الحضارة الغربية في الفكر الإسلامي في الشرق الأدنى، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي، منشورات دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1997م.

7) الشناوي، عبدالعزيز : الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1980م.

8) طقوس، محمد سهيل : العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة(698 – 1343هـ / 1299 – 1924م)، دار بيروت المحروسة، الطبعة الأولى، 1995م.

9) السلطان عبدالحميد الثاني : مذكراتي 1891–1908م، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1981م.

10) قفلجملي، حكمت : التاريخ العثماني، رؤية مادية، تعريف : فاضل لقمان، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1987م.

11) كلو، أندري، غازي الغزاة سليمان القانوني، تعريب : محمد الرزقي . دار التركي للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1991م.

12) المحامي، محمد فريد بك : الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، 1977م.

13) مصطفى، أحمد عبدالرحيم : في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م.

14) مانتران، روبير : تاريخ الدّولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1993.

15) مؤنس، حسين : الجارية روكسلانا تتزوج السلطان سليمان الفاتح، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، دون تاريخ .

16) نعيم، محمد خالد : « صفية الإيطالية، سلطانة في البلاط العثماني «، مجلة العربي، العدد(344)، يوليو 1987، صـ(30 – 34).

17) النمر، إحسان : نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني، دون تاريخ، أو مكان للطباعة.

مفهوم المواطنة :

يعرّف بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية المواطنة على أنها مجموعة من الالتزامات المتبادلة بين الشخص والدولة ، فالشخص يحصل على حقوق ويؤدي واجبات[1]، وهي تشمل كذلك صفات المواطن ومسؤولياته وتتميز المواطنة بوجه خاص بولاء المواطن للبلاد وخدمتها بالتعاون مع الآخرين وتتضمن مستوى عالياً من الحرية مصحوباً بالعديد من المسؤوليات [2].

د . فايز الربيع

المواطنة بين الحقوق والواجبات

ويرى آخرون أن المواطنة نظام سياسي اجتماعي يلتزم فيه الفرد اجتماعياً وقانونياً بالجمع بين الفردية والديمقراطية، ويعتبر الفرد مواطناً إذا ما التزم بالقانون، وهي تتجلى في وعي الفرد واهتمامه بشؤون المجتمع وقدرته على العمل بكفاءة لصالحه وتتضمن القدرة على العطاء لتحقيق أهداف المجتمع مما يشيع أكبر قدر من الوعي بالأهداف المشتركة، وهي تعني صيغة مشاركة(مفاعلة)[3]، ويقول البعض إنّ المواطنة كلمة مستحدثة في اللغة العربية اختارها

المعربون للتعبير بها عن كلمة(politeia) اليونانية و(Citoyennete) الفرنسية و(Citizenchip) الإنجليزية. وكلمة المواطن في اللغة العربية مشتقة من الوطن(المنزل الذي يقيم فيه الإنسان)، ويقال: أوطن الأرض واستوطنها أي اتخذها وطناً ومنه أيضاً الاستيطان – الوطنية، والمواطنة.(politeia و polis) واستعمالات الكلمة في الغالب تبعد في الذهن الحديث عن بناء وعي حضاري يسهم في تجاوز المجتمع العضوي إلى المجتمع المدني والحق المطلق إلى حقوق الإنسان، ولا زالت البشرية لم تحسم قضية إلغاء الخيط الفاصل بين حقوق الإنسان وحقوق المواطن، فليس كل إنسان مواطناً، وليس ثمة مساواة حقوقية اسمية بين البشر[4] إن المواطنة ليست مجرد شعار يرفع بعيداً عن الحقائق الموضوعية ووقائع الحياة وإنما هي انتماء وولاء واقعي وحقيقي للوطن والدفاع عنه مع ضرورة إعطاء الإمكانات اللازمة للمواطنين لكي تحفظ حقوقهم حتى نستطيع أن نعطي حافزاً ودافعاً للمواطن للمشاركة الحقيقية، والفعالة لقد عرفت الحضارة الفينيقية مفهوم المواطنة ووضعت تصنيفاً للسكان يحدد الحقوق السياسية والمدنية.

عند الإغريق وبالرجوع إلى كلمة(polis) نجد أن معناها هو حالة التحام مكاني، هوية مرتبطة بالبقعة السياسية والملكية العقارية للمواطن وهي تكتسب بالولادة لأبوين مواطنين، أو لأحدهما، كما بقيت الملكية العقارية شرطاً أساسياً للمواطنة، أما المرأة فأساس مشاركتها هو توريث المواطنة للأبناء من أبوين لديهما هذا الامتياز والمأثورة اليونانية تقول :(المرأة الشريفة تبقى في بيتها، لأن الشارع للنساء الفتيات) وأحياناً تكتسب المواطنة مقابل خدمات تقدم، وقد تعرض أفلاطون في دعوته للمواطنة المثالية القائمة على المساواة في الموارد والخيرات.

يعتمد الفكر الدستوري والقانوني على المواطنة لبناء النظريات السياسية والقانونية، فالمواطنة ليست شعاراً يرفع إنما هي انتماء حقيقي وولاء للوطن، والواجب الأساسي للمواطنة هو الإخلاص والولاء للأمة كما يفرضه ذلك من حقوق وواجبات[5].

سياحة تاريخية ووقوف عند النصوص

يقول الدكتور هيثم منّاع : إنه بقدر ما كانت الكنيسة أقسى من يسوع، كان التاريخ والفقه الإسلاميان أقل رحمة من النص القرآني عندما كان المسلمون في مكة، لم تكن هناك دولة كان هناك إسلام فردي أو على مستوى الأسرة، ثم كانت بيعة العقبة الأولى والثانية، بيعة سياسية تحدد ملامح المجتمع الجديد والنصرة الجديدة، كي ينتقل المسلمون من فكرة الدولة إلى دولة الفكرة، كان هناك تأكيد على النصرة في الحرب والسلم وعلى الطاعة بالمعروف والمجاهرة بالحق.

بالهجرة إلى المدينة أصبح للمسلمين ملامح جديدة لكيان دولة فقد أصبح لهم أرض يأوون إليها، ولهم موارد اقتصادية، ثم تبلور ما يسمى(بالضمير الاجتماعي) الذي يعني : الالتقاء القلبي والفكري على غاية مشتركة، والذي تبلور فيما بعد(بالمؤاخاة بين المهاجرين

والأنصار)[6]، أما العنصر السياسي فقد تبلور بهجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث بدأ السلطان السياسي وتبلور بأول دستور مكتوب ألا وهو(وثيقة المدينة) أو(دستور المدينة). محتوى الوثيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بين المؤمنين والمسلمين من قريش و(أهل) يثرب،و من تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.

1) إنهم أمة واحدة من دون الناس.

2) المهاجرون من قريش على ربعتهم[7]، يتعاقلون بينهم، ويفدون عانيهم[8] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

3) وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم[9] الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

4) وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

5) وبنو الحارث(بن الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

6) وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

7) وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

8) وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

9) وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

10) وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى،وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

11) وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[10] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

(11ب) وألاّ يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

12) وإن المؤمنين المتقين(أيديهم) على(كل) من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة[11] ظلم،أو أثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعاً،ولو كان ولد أحدهم.

13) ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

14) وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

15) وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر

والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

16) وإن سلم(بكسر السين وتسكين اللام) المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

17) وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

18) وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

19) وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

20) وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

21) وإنه من اعتبط[12] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود(بفتح القاف والواو) به، إلا أن يرضى ولي المقتول(بالعقل)، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

22) وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة،وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وأنه من نصره، أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة،ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

23) وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.

24) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

25) وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين،لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم،مواليهم وأنفسهم،إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[13] إلا نفسه وأهل بيته.

26) وإن ليهود بني النجار مثلما ليهود بني عوف.

27) وإن ليهود بني الحارث مثلما ليهود بني عوف.

28) وإن ليهود بني ساعدة مثلما ليهود بني عوف.

29) وإن ليهود بني جشم مثلما ليهود بني عوف.

30) وإن ليهود بني الأوس مثلما ليهود بني عوف.

31) وإن ليهود بني ثعلبة مثلما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم،فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

32) وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

33) وإن لبني الشطيبة مثلما ليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم.

34) وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

35) وإن بطانة[14] يهود كأنفسهم.

36) وإنه لا يخرج منهم أحد إلاّ بإذن محمد – صلى الله عليه وسلم –.

37) وإنه لا ينحجز على ثأر جرح.

38) من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته إلا من ظلم،وإنه وأن الله أبر هذا[15].

39) وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

40) وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

41) وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم.

42) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا مُحاربين.

43) وإن يثرب(المدينة المنورة) حرام جوفها

لأهل هذه الصحيفة.

44) وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

45) وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

46) وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخالف فساده، فإن مرده إلى الله "عز وجل" وإلى محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأن الله على أتقى ما في هذه وأن الصحيفة وأبره.

47) وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها.

48) وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

49) وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم(ما) على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

50) على كل أناس حصتهم من جا نبهم الذي قبلهم.

51) وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

52) وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

53) وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم.

54) وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – [16].

وهناك وثيقة أخرى وهي وثيقة نصارى نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب محمد النبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأهل نجران : إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق،فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله لهم، على ألفي حلة من حلل الأواقي : في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية من الفضة. فما زادت على الخراج، أو نقصت عن الأواقي فبالحساب. و ما

قضوا من دروع،أو خيل،أو ركاب، أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤونة رسلي، ومتعتهم، مابين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر.

وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد باليمن ومعرة، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عروض، فهو ضمين على رسلي، حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها، جوار الله وذمة – محمد النبي رسول الله – على أموالهم، وأنفسهم، و ملتهم،وغائبهم،وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب ولا كاهن من كهانته.وليس عليهم رُبيّة، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين.

و من أكل رباً من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر.

وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي – رسول الله –، حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم، غير مثقلين بظلم.

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمر ومالك بن عوف من بني النصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة بن شعبة. وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر.

أهم المبادئ التي تضمنتها وثيقة المدينة(دستور المدينة) :

1) تحديد أساس المواطنة في الدولة : حيث أحلت الوثيقة الرابطة الدينية محل الرابطة القبلية فعبرت عن المسلمين بأنهم(أمة من دون الناس) وهذه ظاهرة يعرفها المجتمع العربي لأول مرة، حيث كان الناس يجتمعون على القرابة والنسب.

2) اعتبرت الوثيقة اليهود المقيمين في الدولة من مواطني الدولة وحددت ما لهم من حقوق و ما عليهم من واجبات ففي فقرتيها(24) و(25) تقرر الوثيقة أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم ولا يقف الأمر عند يهود بني عوف وحدهم وإنما تمضي النصوص من الفقرة(26) إلى الفقرة(36) لتقرر لباقي قبائل اليهود مثلما تقرر ليهود بني عوف.

3) حددت الوثيقة واجبات المشركين مما يشير إلى دخولهم في مواطنة الدولة الجديدة ففي النص 21يقرر(أنه لا يجبر مشرك مالاً لقريش ولا يحوله دونه على مؤمن)[17].

4) إن هناك إقراراً بالمساواة في الحقوق والواجبات بين العصبات المسلمة واليهودية، ويوجد إقرار لقاعدة المناصرة في ظروف الحرب، وإقامة علاقات قائمة على البر والنصيحة دون الإثم في ظروف السلم[18].

5) تقوم العلاقة بين العناصر الموقعة للصحيفة على أساس التعددية التجاورية وليس التعددية الاندماجية، والجماعة مسؤولة عن أخطاء أفرادها(أي تطبيق القانون الشخصي عليه).

إن هذه الصحيفة قد سبقت كل الأشكال المؤسساتية في أشكال الحكم.

إن إحلال القتال للمسلم كان لدفع الظلم كما قال الله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا

وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴿ ٤٠ ﴾الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج ٣٩-٤٠].

إن المؤمن بهذا النص صابر، مُتسامح، مُتعايش مع الغير، وقتاله يتقرر لدفع الأذى والظلم فقط، وهو عندما انتقل من أخلاقيات الدين المتسامح إلى رد الظلم إنما قام بها أيضاً ضمن سلطان الدولة وليس من منطق الأفراد.

وإذا كان مصطلح الدستور من المصطلحات المعربة التي دخلت العربية من اللغات الأخرى، وإذا كان هذا المصطلح يعني حديثاً مجموعة القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها ومدى سلطتها إزاء الأفراد فإن هذه الصحيفة هي دستور الدولة العربية الإسلامية الأولى بكل ما يعنيه حديثاً مصطلح الدستور من مضامين، ولقد صيغ هذا الدستور لينظم القواعد الأساسية لدولة المدينة ورعيتها بعد أن نزل الوحي بقسم كبير من القرآن الكريم، هو الإطار الذي فيه المبادئ وبه الروح والمقاصد والضوابط والغايات[19] والقرآن هو الإطار وليس هو نص الدستور.

وذات مواده وعين قوانينه، إن الدستور يضبط وينظم ويفصل في صياغة محكمة الدلالة بين الحدود.

ورعية هذه الأمة لم تقف عند الجماعة الأولى(ورعية الجماعة، الأمة، المؤمنة) بل كانت رعية سياسية اتخذت المعيار السياسي ميزاناً.

إن غير المسلمين المواطنين في الدولة الإسلامية لهم حقوق المواطنة وعليهم واجباتها، لا فرق بينهم وبين المسلمين في التمتع بالخدمات والانتفاع بالمرافق وشغل الوظائف غير الدينية، فالوظائف الدينية تقتصر في شأن أهل أيّ دين على المؤمنين به.

إن الذمة عقد وليست وضعاً،والعقود بطبيعتها قابلة للإنهاء،أما الأوضاع فهي باقية ما بقيت شروطها والظروف التي سوغت قيامها، وإذا كان عقد الذمة قد انقضى ولم يعد أي من أطرافه قائماً فقد نشأ الوضع الجديد وضع المواطنة الذي يستوي فيه المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات القانونية أمام الدولة وسلطانها.

وإذا كان المسلم ملزماً ديانة بما أمرته به نصوص القرآن والسنة من البر والقسط وحسن المعاملة للمواطنين من غير المسلمين ولا سيما أهل الكتاب منهم، فإن هذا الالتزام الديني سيجعل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين قائمة في ظلال الأخوة في الوطن والمناظرة في الإنسانية التزاماً بحدود القانون والدستور.

إن الدفاع عن الوطن عند المسلمين هو جهاد، والمسلم مكلف به باعتباره مسلماً، أما غير المسلم فهو مكلف به حيث إنه مواطن، وأمر تكييفه الديني متروك لأحكام دينه لكنه قطعاً يسقط فترة الجزية في ظل عقد الذمة والعقد نفسه غير قائم[20].

ويجب أن يسمح لغير المسلمين في الدولة الإسلامية إقامة دور العبادة الخاصة بهم. وبالمقابل فإن الدول التي يعيش فيها المسلمون كمواطنين يجب أن يسمح لهم بنفس الحقوق،

وهذا يدعونا أيضاً إلى إعادة النظر في التقسيم القديم للعالم(دار حرب، ودار إسلام) عندما كان العالم ينقسم إلى ثلاثة أقسام(العالم الروماني، والعالم اللاتيني، وعالم الآخرين)،والتقسيم الجديد ينظر إلى العالم كدار واحدة هي دار عهد وموادعة، تطبق فيها أحكام الإسلام على المسلمين أينما كانوا سواء كانوا أقلية أو أفراداً، إن القاعدة الأساسية في أحكام أهل الذمة(المواطنين من غير المسلمين)في الدولة الإسلامية أن لهم مثلما للمسلمين وعليهم مثلما على المسلمين إلا ما استثنى بنص، فلهم حق الحماية الداخلية، بل لقد نص الفقهاء على أنه من كان من أهل الذمة في بلادنا وجاء أهل الحرب يقصدونه(أي الذمي) وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صوناً لمن هو في ذمة الله ورسوله ويعلق القرافي على ذلك بقوله(إن عقداً يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صوناً لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم)[21].

لقد أصر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمهُ الله – على إطلاق من كان في أسر التتار من أهل الذمة مع إطلاق المسلمين فقال لقائد التتار : "لا نرضى إلا بإطلاق جميع الأسارى من اليهود والنصارى فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً من أهل الذمة ولا من أهل الملة " والإمام علي – كرم الله وجهه – يقول : " من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا"[22]

وإذا انتقلت تلك الحقوق والواجبات في الدولة الإسلامية العصرية من النطاق العقدي إلى النطاق الدستوري فإن ذلك لا يؤثر بشيء في التزام الدولة الإسلامية العصرية بها قضاء من حيث هي واجب دستوري وديانة بإرجاعها إلى أصلها[23].

لقد قام الرسول – صلى الله عليه وسلم – لجنازة يهودي، و مات ودرعه مرهونة عند كتابي[24]، ولقد قرر الفقهاء في معنى البر(الرفق بضعيفهم وسد حاجة فقيرهم، وإطعام جائعهم وكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل التلطف والرحمة واحتمال أذيتهم في الجوار لطفاً بهم لا خوفاً منهم، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وإيصالهم إلى جميع حقوقهم[25].

إن للمواطنين في الدولة الإسلامية حقوقاً أساسية منها الحقوق السياسية – وهي الحقوق التي يكتسبها الشخص باعتباره عضواً في هيئة سياسية مثل حق الانتخاب والترشيح وتولي الوظائف العامة في الدولة، فمنها انتخاب رئيس الدولة القائم على مبدأ الشورى، والمرتكز إلى أن الأمة مصدر السلطات والمستند إلى مبدأ حق المراقبة، والمساواة والحرية، وحرية العقيدة والعبادة وحرمة المسكن وحرية العمل والتملك والرأي والعلم وثقافة الدولة وهي تشمل كل المواطنين بغض النظر عن الدين[26]، حيث كتب خالد ابن الوليد – رضي الله عنه – لأهل الحيرة كتاباً أكّد فيه ضرورة إعالة من افتقر من أهل الذمة، وعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كتب إلى عاملة على البصرة : "وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولّت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه "[27].

تعددية الأديان والثقافات في الدولة الإسلامية

إن نظرة سريعة على جوانب تطبيقية من حياة غير المسلمين في الدولة الإسلامية في بغداد وخلال القرن الخامس الهجري على التحديد[28] تكشف عن تعددية في الأديان والمذاهب إلى جانب التعددية الثقافية، وهي تعددية كانت مصدر غنى وإبداع، وعاملاً مهماً في الازدهار الحضاري.

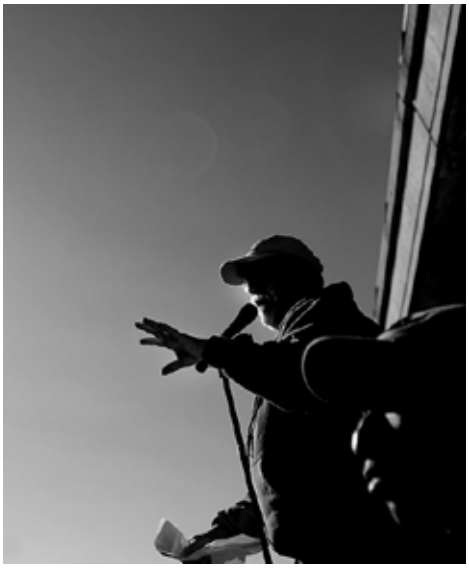

وجاء التعدد في إطار مجتمع مفتوح، لأهله حرية العقيدة والدين، ولهم مجال المشاركة في الوظائف العامة، فهي تكاد تكون مفتوحة للجميع باستثناء رئاسة الدولة.

وكانت مشاركة غير المسلمين واضحة في الحياة الثقافية، وتميزت في ترجمة كتب الطب والعلوم والفلسفة من السريانية واليونانية إلى العربية، كما شاركوا بنشاط واسع في الحركة العلمية كتابةً وتأليفاً، وكان دورهم في الطب ملحوظاً في العصر العباسي.

و كانت الدولة تتعامل مع غير المسلمين عن طريق رؤسائهم الدينيين ومجالسهم التي تتولى إدارة شؤونهم وتطبيق شرائعهم في أحوالهم الشخصية ولكن لهم حق التقاضي أمام القضاة المسلمين.

لقد تناول الباحثون مصطلح(الذمة) بالبحث والدراسة لتحديد دلالته فالذمة لغة هي : العهد والأمانة والضمان[29]، أما في الاصطلاح فالاختلاف واضح بين الفقهاء في تحديد من هم الذين يطلق عليهم اسم أهل الذمة[30]، والأرجح أن أهل الذمة هم جميع أصناف غير المسلمين الذين يعيشون في الدولة بصفة دائمة[31].

وقد قُسِّمُوا إلى أصناف ومنها المحاربون والمستأمنون، وأهل الذمة[32]، فالمحاربون هم كل من حارب المسلمين أو انتسب إلى قوم يحاربون المسلمين سواء كانت المحاربة فعلية أم كانت متوقعة[33].

أما المستأمنون فهم الكفار والمحاربون أصلاً ولكنهم يطلبون الأمان من المسلمين فيدخلون دار الإسلام آمنين على أنفسهم وأموالهم ويستقرون تحت حكم المسلمين مدة محددة من الزمن، يقول الماوردي : " وقد أمر الله عز وجل بإجابة طلب الكفار إذا طلبوا الأمان.

أما أهل الذمة فهم غير المسلمين الذين دخلوا في ذمة الدولة مع التزامهم بمجموعة من الأحكام والشروط،فأصبحوا بذلك من أهل دار الإسلام وبصورة دائمة[34]، وقد ورد عن علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – أنه قال :"إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا "[35].

يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – " ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق

طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة " وأشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإصبعه إلى صدره، وقال :(ألا من قتل معاهداً له ذمة رسوله حرم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً)[36].

(ومن آذى ذمياً فأنا خصمه[37]، ولهم ذمة الله وذمة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأن يوفي لهم بعهدهم وأن يُقَاتَلَ من ورائهم ولا يُكَلّفوا فوق طاقتهم.)[38]

من هنا كان لأهل الذمة في الدولة الإسلامية مجموعة من الحقوق وعليهم مجموعة من الواجبات، وأهم الحقوق التي يتمتع بها أهل الذمة : الأمان على أنفسهم وأبنائهم وذرياتهم وأموالهم وممتلكاتهم وحمايتها من الاعتداء الخارجي والداخلي.

وفي العهد الصادر عن الناصر لدين الله لرأس المثيبة دانيال بن العازر بن هبة الله اليهودي سنة(605هـ/1208م) ما نصه : فالمسلم والذمي والمعاهد في ظل أيادي الشريعة وادعون وفي رياض الأمانة رائعون ، و مما يكلأهم من عين رأفته اليقظى هاجعون، لا يكدر لهم شرب، ولا يذعر لهم سرب[39].(كلمة سرب : تعني النفس)

وعلى المحتسب أن يعمل على تأمين حماية أهل الذمة من اعتداء المسلمين، ويقول الماوردي : ويمنع عنهم (أهل الذمة) من تعرض لهم من المسلمين بسب أو أذى، ويؤدب عليه من خالفه[40]، وكانت قوات الشرطة تقف إلى جانب أهل الذمة لتحميهم من تجاوز العامة.

وعلى الدولة حماية أهل الذمة من أي عدوان خارجي، يقول ابن عقيل(ت 513هـ/1119م) عن الذمي :" وهو محمي الجانب بنا: حتى لو قصد قريته قوم من أهل الحرب جهزنا إليهم عساكر الإسلام حامية لهم مخاطرة بأنفسها منفقة لأموالها في ضمانته)[41].

ومن حقوق أهل الذمة أيضاً الاستفادة من

الخدمات والمرافق العامة للدولة، فقد كانوا يتلقّون العلاج في بيمارستانات بغداد كالمسلمين تماماً[42]، كما كانوا يرعون خيلهم وماشيتهم في المراعي العامة، يقول الماوردي في حديثه عن الحمى "فإن كان (أي الحمى) للكافة تساوي فيه جميعهم من غني وفقير ومسلم وذمي في رعي كلأهم بخيلهم وماشيتهم)[43].

و من حق الذمي اللجوء إلى القضاء الإسلامي إذا تعرض للظلم أو الاعتداء ومن حقه الإقامة حيث شاء في الدولة الإسلامية وأينما شاء دون أن تكون هناك أحياء خاصة لأهل الذمة لا يستطيعون تجاوزها[44] في الدولة الإسلامية ويعملون في التجارة وغيرها بحرية تامة باستثناء الحرام[45]، سواء كان يعمل لحساب نفسه أو متعاقداً.

وفي الأدبيات التاريخية والفقهية أنه يجوز للذمي أن يتولى عدداً من المناصب في الدولة وعلى رأسها منصب وزير التنفيذ دون وزير التفويض، ووظيفة كاتب الديوان[46]، إذ لا يشترط الماوردي الإسلام فيمن يشغل هذه الوظائف.

في القرن الخامس الهجري مثلاً كانت بغداد هي الموطن الرئيسي لأهل الذمة، فهي مقر رؤسائهم... و كان النصارى يقيمون في مختلف أحياء بغداد دون أن يكون هناك حي خاص بهم، فمنهم من كان يسكن في الكرخ[47]، فقد قرأ الطبيب يحيى بن عيسى (ت 473هـ / 1080- 1081م) الطب على نصارى الكرخ، كما أخذ علي بن علي السيف الآمدي الذي ولد بعد عام(550هـ /1155م) علم الأوائل عن جماعة من نصارى الكرخ ويهودها ومن النصارى من كان يسكن في درب الشاركرية[48]، و منهم من يسكن دروب باب المراتب[49] ومنهم من كان يسكن في سوق الثلاثاء[50] حيث توجد كنيسته سوق الثلاثاء[51]، ولكن يبدو أن أكثر النصارى كانوا يعيشون مجتمعين مع بعضهم حول كنائسهم، حتى أن بعض المحلات عرفت بهم، فدار الروم هي محله في الجانب الشرقي من بغداد[52]، وكان فيها الكثير من دور النصارى المجاورة للبيعة المعروفة بدير الروم[53]، ومن محلات بغداد قطيعة النصارى[54]، لعل هذه التسمية جاءت من وجود عدد من النصارى يسكنون حول دير العذارى الموجود فيها[55] وهناك حي اليعاقبة بالمحول إلى الجنوب الغربي من بغداد[56]، ويذكر أن الطبيب صاعد بن توما اليعقوبي(ت 620هـ /1223م) دفن في البيعة بالمحول[57].

وكان اليهود يعيشون في بغداد، وقد ذكر بنيامين أن عدد يهود بغداد قد يصل إلى أربعين ألف شخص[58] ولعل هذا الرقم فيه مبالغة ويرى آدم متز أنهم لم يتجاوزوا الألف شخص.

وكان في تكريت جماعة مهمة من النصارى اليعاقبة[59]، وقد ذكر ابن حوقل أن أكثر أهل تكريت من النصارى وأنها تجمع بين سائر فرق النصارى[60]، وقد كان في تكريت مطران للنصارى اليعاقبة[61].

وسكن أهل الذمة في المناطق الجنوبية للعراق، ففي البصرة عاشت جماعات من أهل الذمة، فقد كان فيها نحو عشرة آلاف يهودي[62]، وكان الواعظ اليهودي إسحاق سارشالوم يتردد عليها لإلقاء مواعظه على اليهود فيها وذلك في الفترة(607 – 630هـ/ 1210 – 1232م[63].

وكانوا يتمتعون بحرية تامة في ممارسة شعائرهم الدينية سواء في بيوتهم أو في دور العبادة عندهم، وتسمى دور العبادة عند النصارى : الدير والعمر والكنيسة والبيعة والصومعة والقلاية، أما الدير فهو البيت الذي يجتمع فيه الرهبان للتعبد، ويغلب عليه أن يكون خارج البلد كأن يكون على رؤوس الجبال أو في الصحارى أو على ضفاف الأنهار، وتسمي من يسكنه ويعمره بالديراني، فإذا كان هذا البيت داخل المصر فإنه يسمى بيعة أو كنيسة[64]. ويسمى الدير أحياناً بالعمر، وقد بين ياقوت أن هذه التسمية مأخوذة من قولهم فلان عامر لربه أي عابد فيكون العمر هو الموضع الذي يعبد فيه، أو من الاعتمار والعمرة وهي الزيارة فيراد به الموضع الذي يزار، أو من قولهم : عمرت ربي وحجته أي خدمته، فيكون العمر هو الموضع الذي يخدم فيه الرب[65] والصومعة فيبنيها الراهب لينفرد فيها متعبداً وتكون مرتفعة كالمنارة ولا يكون لها باب بل فيها طاقة يتناول منها طعامه وشرابه و ما يحتاج إليه[66]، ومما يدل على ارتفاع القلايات وصف الشاعر :

بحق ما شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع[67]

ممارسة الحياة الاجتماعية

وكان أهل الذمة يمارسون حياتهم الاجتماعية بحرية تامة، ولهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، فمن حيث الزواج كانوا يتزوجون حسب شرعهم وعاداتهم وتقاليدهم، وقد أقر الشرع الإسلامي عقود الزواج لأهل الذمة ما داموا لم يترافعوا إلى القاضي المسلم، وما داموا يعتقدون بصحتها حسب شرعهم[68].

كما أجاز الشرع للمسلم أن يتزوج الكتابية مع احتفاظها بدينها وذلك لقوله :﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[سورة المائدة،آية ٥].[69]، وفي هذه الحالة لا يحق للمسلم أن يجبر زوجته الكتابية على ترك دينها كما لا يحق له منعها من أداء شعائرها التعبدية[70].

وخرج الجاثليق مكرماً رغم أنه كان ذمياً[71] فقد ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه عاد جاره اليهودي[72].

كما أجاز الفقهاء تعزية الذمي إذا مات له شخص وأجازوا تهنئته في المناسبات السعيدة التي تمر به كالزواج أو القدوم من سفر أو أن يرزق بمولود ونحو ذلك[73].

كان الكثير من المسلمين يشاركون النصارى الاحتفال في أعيادهم الدينية حتى أصبحت بعض الأعياد النصرانية أعياداً شعبية يشارك فيها الجميع[74]، فدير الثعالب مثلاً له عيد لا يتخلف عنه أحد من النصارى والمسلمين[75]، وكان(بدرسمالو) مكاناً مخصصاً للاحتفال بعيد الفصح، وكان المسلمون من أهل التطرب واللهو يشاركونهم من أجل التنزه واللهو.

حياة مشتركة

كان النصارى أقرب إلى المسلمين من اليهود، يقول الجاحظ :(النصارى أحب إلى العوام من المجوس وأسلم صدوراً عندهم من اليهود وأقرب مودة وأقل غائلة وأصغر كفراً وأهون عذاباً)[76]، ويبين الجاحظ أسباب تفضيل النصارى على اليهود فيذكر من هذه الأسباب قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ

مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة،آية ٨٢].

و من الأسباب أيضاً أن النصرانية كانت منتشرة في العرب قبل الإسلام بخلاف اليهودية التي لم تكن غالبة على قبيلة من قبائل العرب، و منها أيضاً أن العوام رأوا في النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين وليس في اليهود مثل ذلك، كما رأوا في النصارى كتاب السلاطين وأطباء الأشراف وفراشي الملوك والعطارين والصيارفة، أما اليهود فيغلب عليهم أنهم صبّاغون أو حجّامون أو دبّاغون وما إلى ذلك من المهن، فعظمت منزلة النصارى عندهم أكثر، وذلك زمن جثلقة يوحنا بن الطرغال(-441 449هـ/ 1057-1049م)[77]، وقد أجاز الفقهاء للمسلم أن يشارك الذمي في التجارة ونحوها شريطة أن يكون المسلم هو الذي يلي المال خوفاً من أن تستخدم الأموال في الأمور المحرمة كالربا وبيع الخمر وغيره[78].

امتد التعايش بين أهل الذمة وبين المسلمين ليشمل جوانب ذات طابع ديني، فمثلاً أجاز الفقهاء لأهل الذمة أن يخرجوا مع المسلمين إلى صلاة الاستسقاء[79]، كما أجازوا للمسلم أن يتصدق على الذمي ولكن لا يعطيه من مال الزكاة[80]، وأجاوز له أن يأخذ من صدقات الذمي إن كان محتاجاً[81]، وقد أجاز أبو حنيفة – رحمه الله – أن يُعْطَي الذمي من صدقة الفطر[82]، كما أجاوزا للمسلم أن يوصي لأهل الذمة[83] وأن يخصص أوقافاً عليهم على ألاّ يكون الوقف مخصصاً لكنائسهم.

ولكن الفقهاء لم يجيزوا أن يمتلك الذمي عبداً مسلماً لما في ذلك من صغار للمسلم.

وسطية مستنيرة

وهكذا نجد أن وسطية الإسلام أمر واقع، وفي ضوء الفقه الحضاري، نجد أن عملية بزوغ حضاري جديد يؤسس لمرحلة جديدة، فكراً وتأصلاً، بحيث ينتج عن ذلك مشروع علمي للحضارة تشكيل العقل المسلم –ويعيد تشكيل المجتمع المسلم – بتقدمه نحو الإسلام الذي أراده الله سبحانه وتعالى لنا ديناً كاملاً وارتضاه لنا مفتاحاً للجنة.

نظرة إلى الواقع

ابتداءً فإن الحديث عن حقوق المواطنة حديثاً يندرج على كل المواطنين(مسلمين وغير مسلمين)، نحن نتحدث الآن عن المواطن والمواطنة في الدول العصرية، القطرية والقومية، فلو أخذنا العالم العربي لوجدنا أن(المواطنة).

لم تعد مشاركة في خدمة الوطن الذي يعيش فيه الإنسان، فربما يعيش الإنسان فترة طويلة في منطقة ولا يحصل على حقوق المواطنة من الدرجة الأولى كما تسمى، فالحديث لا يجرى عن مسلم وغير مسلم.

ولم تعد قضايا(الذمة) مطروحة، واستعيض عنها بحقوق الأقليات وربما أصبحت هذه الحقوق

جسراً للتدخل وشعاراً يطرح.

القضية الآن لا تتعلق بالدين وإنما تتعلق بحقوق المواطن مطلقاً. إن غير المسلمين في البلاد الإسلامية لهم من الحقوق ما لا يمكن لعاقل إنكاره، وإن الدعوات التي نسمعها في الغرب، عن العنصرية الجديدة، من نازية وفاشية، ومطالبات بطرد الأقليات، وسن القوانين أحياناً التي لا تعطيهم الحقوق المطلوبة ناهيك عن طرح الدولة اليهودية النقية وطرد غيرهم من الفلسطينيين، واعتبارهم مواطنين ليسوا من الدرجة الأولى، هذا بالرغم من الإضاءات الكثيرة من الحقوق والرعاية التي يلقاها المسلمون كأقليات دينية أو عرقية في البلاد التي يهاجرون إليها.

لقد لاحظنا من خلال عرضنا للنصوص بدءاً من مصدرها في زمن الرسالة ومروراً بالتطبيقات العملية أن هناك نقاطاً مضيئة في التشريع الإسلامي، وأن هناك نكوصاً في بعض الأحيان نتيجة الخلل في التطبيق سواء كان ذلك على المواطن المسلم أو الذمي.

ما حدث للمسلمين عبر التاريخ من اضطهادات لا يمكن مقارنتها مثلاً في الأندلس أو إبان الحروب الصليبية مع ما صدر عن المسلمين تجاه غيرهم.

وإذا أردنا أن نؤصل لواقع جديد فإننا لابد وأن نتحدث عن دولة(مدنية) بمرجعية إسلامية، يأخذ فيها المواطنون حقوقهم ويؤدون واجباتهم في ظلال هذه المرجعية التي تكفل حق الجميع.

المراجع العربية

1) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء.
2) ابن الجوزي : المنتظم.
3) ابن الجوزي السبط : مرآة الزمان.
4) ابن حجر : فتح الباري.
5) ابن حوقل : صورة الأرض.
6) ابن الساعي : الجامع المختصر.
7) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول.
8) ابن عقيل : الفنون.
9) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة.
10) ابن قدامة : المغني.
11) ابن القيم : أحكام أهل الذمة.
12) أبو داوود : سنن أبي داوود.
13) أبو عبيدة : الأموال.
14) أبو يوسف : الخراج.
15) أوستن : سياسة الحكم.
16) صحيح البخاري.
17) بدر، أحمد زكي : معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، القاهرة، مصر 1993م.
18) بدوي، محمد طه : أصول علم السياسة.
19) الجاحظ : رسالة في الردّ على النصارى.
20) البيهقي : سنن البيهقي.
21) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد.
22) بنيامين : الرحلة.
23) الخلال : أحكام أهل الملل.
24) زيدان، عبدالكريم : الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية.
25) السرخسي : المبسوط.
26) السوا، علي : موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.
27) الشابشتي : الديارات.
28) الشافعي : الأم.
29) الطريقي، عبدالله : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي.
30) عمارة، محمد عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان، ضرورات لا حقوق.
31) العوا، محمد سليم : في النظم السياسية للدولة الإسلامية.
32) العوا : النظام السياسي في الإسلام.
33) عواد، كوكيس : " ديارات بغداد القديمة " مجلة مجمع اللغة السريانية، جزء(2).
34) الغزالي : إحياء علوم الدين.
35) غيث، محمد عاطف وآخرون : المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995م.
36) الفيروز أبادي : القاموس المحيط.
37) فيبيه(أفبيه ؟) : أحوال النصارى.
38) القرافي : الفروق.
39) القفطي : تاريخ الحكماء.
40) ماري : أخبار فطاركه.
41) الماوردي : الأحكام السلطانية.
42) متى : أخبار فطاركه.
43) متز : الحضارة الإسلامية.
44) المسعودي : مروج الذهب.
45) مناع، هيثم : المواطنة في التاريخ العربي الإسلامي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.
46) النمر، نمر : أهل الذمة والولايات العامة.
47) ياقوت : معجم البلدان.

المراجع الأجنبية

48) Arrawsmith، Crick R : Education، the Global Dimention، Guldance gor key stages 3 and 4، Lordon Development Education – April.
49) Patrick، J : Teaching the Responsibility of Citizenship، 1991.
50) Sassoon : A History.

– تم استلام هذه المراجع كما وردت في الهوامش العامة للبحث، لذا لزم التنويه.

ELECTRON SERVICE

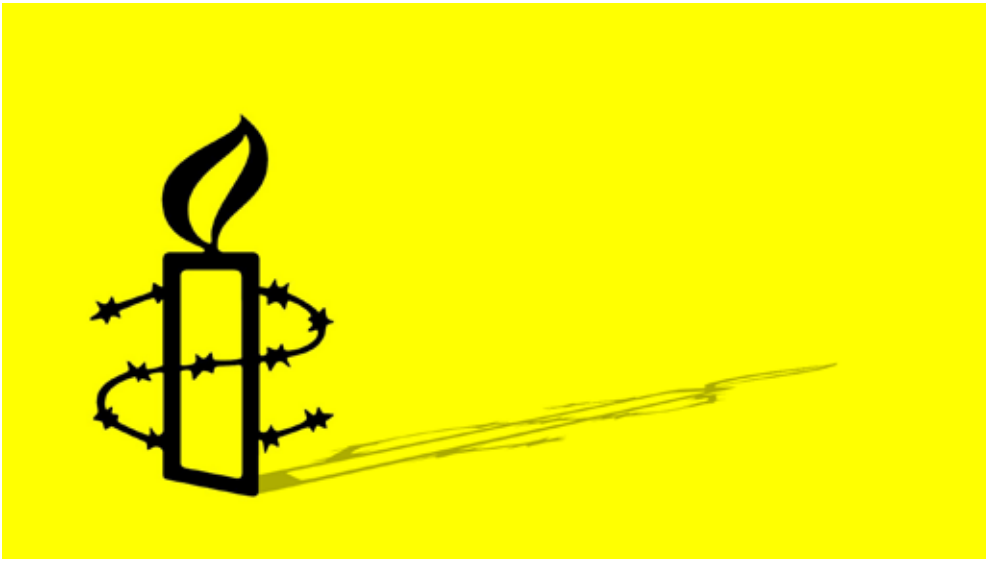

تمثل مسألة تجذير حقوق الإنسان في البيئة السياسية والاجتماعية إحدى الموضوعات التي تحظى باهتمام خاص في الفكر الإسلامي والعربي اليوم ، وقد دارت مقارباتها عموماً في فلك ثلاثة أنواع من المقاربات ، أولها تلك المتعلقة بالمعضلة السياسية في العالم العربي حيث تعزي الإنسان ثقافة اجتماعية ونظاماً قانونياً

الدكتور عبد الرحمن الحاج

النقد الإسلامي للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان

ثانيها ما توصف عادة بأنها ثقافة حضارية "متخلفة " مناهضة لحقوق الإنسان قارة في عقول وممارسات الحياة اليومية لشعوب المنطقة العربية والإسلامية، وثالثها التعارض مع المفاهيم الدينية الإسلامية بشكل خاص ؛إذ ينظر إلى حقوق الإنسان باعتبارها بدعة غربية(أبو الأعلى المودودي)، أو –على النقيض تماماً – ينظر إلى الدين في هذه المقاربة بوصفه جزءاً من بقايا ما قبل الحداثة !.

تمثل المقاربتان السياسية والثقافية(بالمعنى الأنثروبولوجي) توجهاً إلى الممارسات العلمية، في حين أن المقاربة المعتمدة على فهم المعضلة بوصفها

معضلة فكرية أساسها المفاهيم والتصورات الدينية المانعة وحدها – بالنسبة لنا – التي تمثل مقاربة نظرية جديرة بالتفحص والتفكيك ؛ لأنها تلامس جوهرياً مفهوم حقوق الإنسان، وفي سياق النقاش الحاصل بين الإسلاميين وخصومهم قدم الإسلاميون نقداً لمنظومة حقوق الإنسان كما هي في المواثيق الدولية معدد الزوايا والأبعاد، بعضها يركز على ازدواجية المعايير في الممارسة الدولية لحقوق الإنسان [1]، وبعضها يركز على التعارض الجزئي مع التعاليم والتشريعات الفقهية الإسلامية الأساسية التي لا خلاف عليها، في حين ركز البعض الآخر على الخصوصية الثقافية الغربية لمنظومة حقوق الإنسان في المواثيق الدولية ومفارقتها للخصوصية الثقافية الإسلامية.

يركز هذا البحث على نقد الإسلاميين للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي تقول بصدور المواثيق الدولية عن خصوصية ثقافية غربية تناقض مبدأ الكونية الجوهري في مفهوم حقوق الإنسان الطبيعية ؛ ذلك أنّ أياً من نقد الممارسات العملية للغرب، أو توضيح مناقضة بعض مواد المواثيق للمبادئ الفقهية والدّينية، وهي على أهميتها ليست من اهتمامات البحث إلا من جهة كونها تعبيراً ثقافياً، وإلا فإن الخلاف الفقهي مع منظومة حقوق الإنسان مسألة دينية تخص علماء الدين وفقهاء الإسلام المعاصرين قبل كل شيء، وبالتالي فإن مركز اهتمام هذا البحث هو النقد الإسلامي المستند على الخصوصية الثقافية للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

صحيح أن الكثير من المؤتمرات الدولية [2] والدراسات والبحوث العلمية [3] تناولت علاقة الخطاب الديني والإسلامي منه على وجه الخصوص بحقوق الإنسان، إلا أن ما كتب يتراوح بين التبرير وبين النقد والضغط من أجل تأويل النصوص الدينية بما يتلاءم مع المفاهيم العالمية لحقوق الإنسان، فالغاية لدى هذا الطرف من مناقشة علاقة الفكر الإسلامي بحقوق الإنسان هي "استخدام الخطاب الإسلامي في التأسيس لمشروعية حقوق الإنسان بين المسلمين [4] أكثر من فهمها واكتشاف المساحات المتاحة لها، فالمعيار الأساسي – كما يمضي إليه البعض – هو أن مؤشر تجديد الخطاب الديني هو مدى ملاءمته للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، بما يعني ذلك من أن المواثيق والعهود الدولية فوق النقد، وغاية هذا البحث هو فهم حدود «المشكلة» مع الخطاب الديني وتفسيرها ليس إلا ؛ ليمكننا فهم حدود تجديد الخطاب الإسلامي للمساهمة في إزالة العوائق أمام تجذير ثقافة حقوق الإنسان في عالمنا العربي.

التحفظات

تحظى الأكثرية العظمى من مواد المواثيق والعهود الدولية لحقوق الإنسان عموماً بتقبل الإسلاميين والإقرار بتوافقها مع الشريعة الإسلامية، إلى الحد الذي اعتبرت في بعض الأحيان أنها "ترديد عادي للوصايا النبيلة التي تلقاها المسلمون عن الإنسان الكبير والرسول الخاتم محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم –، وأكثر من ذلك؛ ثمة تأكيد متكرر على دور الإسلام في نشأة فكرة حقوق الإنسان(وهو أمر يؤكده مؤرخو حقوق الإنسان عموماً)، فالإسلام "أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق " وهكذا فإن " آخر ما أملت فيه الإنسانية من قواعد وضمانات لكرامة الجنس البشري كان من أبجديات الإسلام [5].

إن التحفظات التي يبديها الفقهاء المسلمون تتعلق بمواد محدودة، قد لا تتجاوز أصابع اليد

الواحدة[6]، وإن دراسة هذه التحفظات وفهم أصولها الدينية ومرجعيتها الفلسفية تساعد على تطوير فهم النقد الإسلامي للعهود والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

أولاً: ينظر إلى البند الأول المادة 16 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948) –والذي ينص على أن "للرجل والمرأة، متى أدركا سن البلوغ، حق التزوج وتأسيس أسرة، دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين ، وهما يتساويان في الحقوق لدى التزوج وخلال قيام الزواج ولدى انحلاله [7] على أنه مناقض للشريعة الإسلامية من جهتين:

الأولى: عدم اعتبار الدين قيداً في الزواج. وهو مناقض لنصوص صريحة في القرآن الكريم التي تحرم على المسلمين الزواج من غيرهم عموماً، وتستثني ذكور المسلمين في إباحة الزواج من المسيحيات واليهوديات[8]، وقد قال الله تعالى:﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة المائدة ٥].

الثانية: مساواة الزوجين في الحقوق [9]، وهو أيضاً يخالف نصوصاً صريحة تجعل للمرأة حقوقاً أكثر من الرجل في بعض الأمور، وحقوقاً

للرجل أكثر من المرأة في بعض الأمور الأخرى، ويتجلى ذلك – مثلاً – في وجوب إنفاق الرجل على المرأة من جهة، وفي قوامة الرجل على بيته وزوجته من جهة أخرى كما في الآية: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء ٣٤].

يتبع هذا التحفظ تحفظاً آخر يتعلق بميراث المرأة، فالمادة 13 من " اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لسنة 1979 تنص على أن تتخذ الدول الأطراف في الاتفاقية جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في المجالات الأخرى للحياة الاقتصادية والاجتماعية لكي تكفل لها على أساس المساواة بين الرجل والمرأة نفس الحقوق، ولاسيما (أ) الحق في الاستحقاقات العائلية"[10] حيث تنص هذه المادة على المساواة الكاملة في التوريث، وهو أمر يخالف نصوصاً قرآنية صريحة قاطعة الدلالة على التمييز بين ميراث الزوج وزوجته، وبين الذكر والأنثى عموماً، وقد ورد هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا

السُّدُسُ ممّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّه الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّه السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّه كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴿ ١١ ﴾

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ ممّا تَرَكْنَ من بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ ممّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ ممّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ من ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ من بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة النساء ١١-١٢].

ثانياً: المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948 والتي تنص على أن "لكل شخص الحقّ في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة وأمام الملأ أو على حدة [11] وكذلك الأمر في المادة 18 من "العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية " 1966، والتي تنص في البند الثاني على أنه "لا يجوز تعريض أحد لإكراه يخل بحريته في أن يدين بدين ما، أو بحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره [12] "، وكذلك المادة الأولى من " الإعلان الخاص بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد " لسنة(1981م) التي تنص في البند الثاني على أنه "لا يجوز تعريض أحد لقسر يحد من حريته في أن يكون له دين أو معتقد من اختياره [13] فهي جميعاً تتعارض مع عقوبة الردة عن الدين.

ذلك

أن الحرية

الدينية في الإسلام لا قيد لها ولا شرط، فمن حق كل من هو في "دار الإسلام " أن يتمتع بحرية الدين والإعلان عنه وتغييره، إلا في حالة واحدة، وهو في موضوع اعتناق المرء الإسلام فلا يحق له الخروج منه بعد دخوله فيه بحرية مطلقة، وقد " نصت آيات القرآن على بشاعة هذه الجريمة، وتوعدت مقترفها بأشد العذاب في الآخرة دون نص محدد على عقوبة الدنيا، وأجمع الصحابة – رضوان الله عليهم – على قتال المرتدين "، و"ذهب جمهور العلماء إلى اعتبار الردة حداً ملزماً جاء النص عليه في السنة وأجمع عليه المسلمون الأقدمون [14].

ثالثاً: المواد 2 و 3 و 4 من "الإعلام الخاص بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد " لسنة(1981) تثير تحفظات المسلمين، فالمادة 1:2 تنص على أنه " لا يجوز تعريض أحد للتمييز من قبل أية دولة أو مؤسسة أو مجموعة أشخاص أو شخص على أساس الدين أو غيره من المعتقدات(...) وجاء في المادة 3 ما نصه: "يشكل التمييز بين البشر على أساس الدين أو المعتقد إهانة للكرامة الإنسانية،وإنكاراً لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ويجب أن يشجب بوصفه انتهاكاً لحقوق الإنسان والحريات الأساسية التي نادى بها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والوارد

بالتفصيل في العهدين الدوليين الحاصلين بحقوق الإنسان، وبوصفه عقبة في وجه قيام علاقات ودية وسلمية بين الأمم.

أما المادة 4: فقد أكدت أن على جميع الدول أن تتخذ تدابير فعالة لمنع واستئصال أي تمييز على أساس الدين أو المعتقد "[15]، والأمر نفسه في البند الثاني من المادة 2 من " إعلان حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية إثنية وإلى أقليات دينية ولغوية " لسنة(1992م) والتي تنص على أن " يكون للأشخاص المنتمين إلى أقليات الحق في المشاركة في الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والعامة مشاركة فعلية "[16].

والفقه الإسلامي السياسي يتضمن أحكاماً تمييزية خاصة بغير المسلمين، تبدأ من فرض الجزية، فـ "لا ولاية لكافر على مسلم، لا ولاية عامة ولا خاصة، فلا يكون الكافر إماماً على المسلمين، ولا قاضياً عليهم، ولا شاهداً، ولا ولاية له في زواج مسلمة، ولا حضانة له لمسلم، ولا يكون ولياً عليه ولا وصياً، والتوّلية شقيقة التّولّي، فكانت توليتهم نوعاً من توليهم، وقد حكم الله – تعالى – بأن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم، والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً، والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً "[17].

رابعاً: المادة 14 من اتفاقية حقوق الطفل لسنة(1989) والتي تنص على ضرورة أن "تحترم الدول الأطراف في الاتفاقية حق الطفل في حرية الوجدان والدين "[18] على أساس أن الطفل هو كل "إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه " كما تقول المادة الأولى من هذه الاتفاقية[19]، وهذا يثير تحفظ الفقهاء، فالفقه الإسلامي يتبع الطفل لدين والده بالضرورة، ولا يترك للطفل حرية اختيار الدين، ويجعل من حق الوالد ليس فقط إكراه الطفل على اعتناق الإسلام، بل أيضاً الإكراه على ممارسة شعائره وتعاليمه وعباداته.

كما أن الفقه الإسلامي يجعل كل طفل بلغ الحلم(دخل سن البلوغ) رجلاً كامل المسؤولية في الحقوق والواجبات والجزاء، فالمعيار هو قدرته على المحاكمة العقلية السليمة، وليس الرشد الافتراضي الذي يقدر في اتفاقية حقوق الطفل ببلوغ الطفل 18عاماً.

خامساً: المادة 21من اتفاقية حقوق الطفل التي تجيز التبني باعتباره "وسيلة بديلة لرعاية الطفل"[20] ومن المسائل التي ليست محل نزاع بين فقهاء الإسلام أن التبني(الذي يعني الإلحاق بالنسب) محرم بنصوص قاطعة واردة في القرآن الكريم[21](مصدر التشريع الأول)، أما الرعاية والكفالة الاجتماعية فهما واجبان دينيان للأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية. وتأمل معي قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب ٤-٥].

سادساً: المادة الثانية من العهد الدولي التي تنص في بندها الأول على أن " تتعهد كل دولة طرف في هذا العهد باحترام الحقوق المعترف بها فيه، وبكفالة هذه الحقوق لجميع الأفراد الموجودين في إقليمها والداخلين في ولايتها دون أي تمييز بسبب العرق، أو اللون أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسياً أو غير سياسي، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة،أو النسب،أو غير ذلك من

الأسباب "، والمادة 3 من العهد التي تقول: "تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بكافة تساوي الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدينة والسياسية المنصوص عليها في هذا العهد"[22].

وتنص المادة السابعة من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة على(أ) "اتخاذ جميع الدول الأطراف في هذه الاتفاقية جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في الحياة السياسية والعامة للبلد، وبوجه خاص تكفل للمرأة، على قدم المساواة مع الرجل، الحق في(ب) المشاركة في صياغة الحكومة وفي تنفيذ هذه السياسة، وفي شغل الوظائف العامة على جميع المستويات الحكومية "[23]، ومن المعلوم أن الفقه الإسلامي لا يجيز تولي المرأة منصب الولاية العامة(الرئاسة و ما في حكمها)، فقد اتفق الفقهاء على أن الذكورة شرط الولاية العامة للمسلمين[24]، أي أن التمييز السياسي ضد المرأة أمر مشروع فقهياً في حدود منصب الرئاسة(أو ما في حكمها من المناصب) على الأقل.

المرجعيات وأصول الاختلاف

يحتاج فهم هذه التحفظات وأصولها إلى تصنيفات تسمح لنا بسبر العمق الذي يمكن للفكر الإسلامي "التنويري " الجديد أن يصل إليه ولا يستطيع تجاوزه ؛ فقسم من التحفظات تستند على نصوص من النص المؤسس مما مساحة التأويل فيه ضيقة أو شبه منعدمة(ميراث المرأة، والتبني)، في حين ينتمي القسم الأكبر من التحفظات إلى اجتهادات ونصوص قابلة لتأويلات واسعة وإعادة الاجتهاد(التمييز السياسي ضد المرأة والأقليات الدينية والردة، وإكراه الطفل على الدين)، والملاحظ أن هذا القسم الثاني بات محط اجتهاد واختلاف واسع بين الفقهاء[25]، وهو اجتهاد تسمح به النصوص وآليات الاجتهاد المعروفة لدى العلماء، فهو لا يستند إلى نصوص قاطعة الثبوت والدلالة من القرآن الكريم.

ا) الحق الطبيعي والحق الفطري

إذا كان التصوير التقليدي عن حقوق الإنسان منبثق أساساً عن فكرة الحقوق الطبيعية، التي تعني الحقوق "التي يملكها الكائن البشري لمجرد أنه كائن بشري "[26]، والتخلي عن فكرة الحقوق الطبيعية كأساس نظري لعالمية حقوق الإنسان يقتضي أن "البديل المنطقي " هو تعبيرٌ عن إرادة جماعية ظاهرة تصر على تمكين كل الناس دون استثناء من التمتع بحد أدنى من المعاملة التي تعد لائقة للإنسان وبناء الترتيبات المؤسسية في كل المجالات التي تحمي وتكرس هذه المعاملة "[27]، فإن التصور الإسلامي لحقوق الإنسان يستند إلى مبدأ "الحق الفطري " الذي يعني أن الإنسان يكتسب حقوقاً ذاتية تتعلق بكرامته الإنسانية بمجرد قدومه إلى الوجود ليس منة من البشر أنفسهم، بل هي هبة من الله الذي خلق الإنسان(فطره) وكرمه[28].

بهذا المعنى فإن " لكل البشر بما هم بشر " حقوقاً، وهذه الحقوق عالمية الفطرة الإنسانية ذاتها، بالتأكيد فإن هذا الأصل الإسلامي لحقوق الإنسان يتوافق مع فكرة الحق الطبيعي، بل أكثر من ذلك فإن فكرة الحقوق الفطرية للإنسان تتعارض مع فكرة الحقوق المكتسبة بالتوافق البشري عليها(كما الحال في حقوق الإنسان اليوم)، فهي تقتضي تساوي البشر جميعاً وعدم إمكانية أن يكونوا مصدراً لحقوق تتعلق بأصل وجودهم واستمرارهم، فليس بإمكانهم منح أنفسهم حقوقاً تتعلق بوجودهم.

غير أن فكرة "الحقوق الفطرية " تذهب أبعد من

الحقوق الطبيعية، فإن أصل فكرة الفطرة الإنسانية تقتضي وجود فاطر، خالق (الله) هو مصدر الوجود فالفطرة الإنسانية هي ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم ٣٠]. وبما أن للوجود خالق(ومالك له بالضرورة) فهو وحده الذي يملك الحق في تحديد حقوق الإنسان(المخلوق)، هكذا إذن ؛ فإن فكرة الله الخالق أصيلة وجوهرية في "الحقوق الفطرية" من جهة، و من جهة ثانية فإن مرجعية الفطرة تحيل مسألة تحديد الحقوق إلى الله – تعالى – ؛ الذي تتجلى إرادته – وفقاً لاعتقاد المسلمين – في التشريع الإسلامي المنزل، و من هنا لا خلاف بين العلماء المسلمين في مرجعية الشريعة الإسلامية لحقوق الإنسان على أن هناك اتفاقاً بينهم أيضاً بأن ما جاء في الشريعة الإسلامية من " عقائد وعبادات وقيم سلوكية ونظم اجتماعية موافق للفطرة البشرية "[29] بالضرورة.

لكن الفطرة تعود لتتحول أيضاً في الوقت نفسه إلى معيار في ضبط تأويلات الشريعة، إذاً يجمع فقهاء الإسلام على عدم جواز استنباط أحكام فقهية مناقضة للفطرة(المصالح الإنسانية)، وبالتالي ترجع الفطرة لتتطابق ثانية مع مفهوم الحق الطبيعي للبشر الذي لا يجيز وجود أي تشريع ينافي الحق الطبيعي للإنسان، يبقى الفارق في مبدأ الحقوق الفطرية مرتبطاً ارتباطاً جوهرياً بوجود الإله أصل الوجود.

رعاية الفطرة الإنسانية مفهوم واسع يشير إلى جملة المصالح الإنسانية، غير أن تحديده بدقة يعاني المشكلات ذاتها التي تعانيها فكرة الحق الطبيعي، غير أن فقهاء الإسلام قاموا ببعض التحديدات التي تحدد إطار التشريع الفقهي، والإنساني وفق معايير المصلحة الإنسانية فيما سمي بمقاصد الشريعة،فـ" علماء الإسلام قد ارتضوا بما يشبه الإجماع المنظور الذي قدمه الإمام الشاطبي للمصالح التي جاء الدين لرعايتها، ارتضوه إطاراً عاماً لحقوق الإنسان في الإسلام، وهو منظور ينطلق – كما أسلفا – من رؤية عامة للدين الذي جاء لتحقيق مصالح العباد"، والتي تتكثف في خمسة مقاصد عامة تؤطر التشريع الفقهي والحقوق البشرية هي " خمس مصالح كبرى ضرورية لحقوق الإنسان، هي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ المال(...) وهو إطار يتسع لاستيعاب جل الحقوق المعروفة، مثل حق الحياة، والحرية، والتعليم، وإقامة الإسلام، وحق الملكية، والمشاركة في الحياة العامة لإقامة نظام عادل يحفظها "[30].

٢) رؤية العالم: الجسد والدين

لا يمكن قبول أن تكون مفاهيم حقوق الإنسان هي مكان اختلاف، فالمزاوجة بين مبدأ الحقوق الطبيعية ومرجعية الإقرار الجماعي

بهذه الحقوق أمر ممكن، ذلك أنه لا تناقض بين المرجعيتين، وبهذا الجمع بين إيجابيات المرجعيتين، يمكن أن تنخفض قوة التحديات إلى مستويات يمكن التغلب عليها مع وجود اختلافات، وفي فكرة الحقوق الفطرية والإقرار بها ما يقلل من المشكلات التي تواجه مسألة تحذير حقوق الإنسان وتبييتها في الثقافة العربية والمجال القانوني.

والحديث عن حقوق فطرية في مقابل الحقوق الطبيعية يقود حتماً إلى المعنى الفلسفي، وعلى الرغم من أن النقد الإجمالي عند المسلمين للمواثيق والعهود والاتفاقيات الخاصة بحقوق الإنسان هو أن "الخطاب الخاص بحقوق الإنسان علماني (بالمعنى الفلسفي الشامل) بشكل عام، الأمر الذي يوحي بأن هذه الحقوق لا يكون لها وجود إلا في إطار سياق علماني(...) باعتبار أن المجتمعات الإسلامية كيانات تتمحور حول الله عز وجل، لا حول الإنسان "[31] فلا شك أن ذلك يمثل تبايناً شديداً في رؤية للعالم (worldview)[32] وهو تباين مرجعه عقدي وليس علمياً، فالإيمان بإله أصل للكون والوجود وعدم الإيمان به مسألة ميتافيزيقية في النهاية، لا يمكن فرضها على العالم جميعاً، فالأكثرية العظمى من البشر مثالية مؤمنة.

إن هذا الاختلاف في رؤية العالم – من وجهة النظر الإسلامية على الأقل – يجد انعكاسه في عدد من الأصول الكبرى لحقوق الإنسان، التي يأتي في مقدمتها التصرف بالجسد وصورة الجسد نفسه، ففي حين تمثيل مواثيق حقوق الإنسان إلى اعتبار الجسد ملكاً للإنسان، الأمر الذي يخوله الحق المطلق بالتصرف بجسده، فإن الفقه الإسلامي يؤكد على أن جسد الإنسان ليس ملكاً للإنسان، إنما هو أمانة بين يديه، وعليه أن يتصرف فيه تصرف المستأمن، فلا يملك تغيير شيء من جسده بغير حاجة طبية وضرورة نفسية فطرية(موافقة للفطرية البشرية) كما أن العلاقات الجنسية تندرج تحت هذه الأمانة.

فليست حرية الفرد هي التي تنظم حق ممارسة الجنس، إنما التشريع هو مصدر هذا الحق وهو الذي ينظم ذلك، من أجل حفظ النسل واستمرار الحياة البشرية وحفظ الأسرة بـ "اعتبارها الخلية الطبيعية والأساسية في المجتمع"[33](كما يقول البند الثالث من المادة 15 من الإعلان العالمي) لا يتوافق مع مبدأ الحرية الجنسية التي تتضمن "المثلية الجنسية"(التي تمثل شذوذاً عن الفطرة الإنسانية) والعلاقات غير المشروعة بين الذكور والإناث، ينسحب هذا على موضوع حفظ النسب، الذي يعتبر مقصداً تشريعياً في الإسلام، فهو شكل من أشكال التصرف بالجسد(النسبة إلى الجسد) الأمر الذي يجعل التبني مسألة غير مقبولة، فإقرار التبني يهدم قيمة أساسية هي الصدق، فالتبني من منظور إسلامي هو نسبة كاذبة إلى الجسد، وإقراره يؤدي إلى نوع من التضارب القيمي.

تبدو بعض العقوبات الإسلامية(خصوصاً الرجم[34] وعقوبة اللواط وقطع يد السارق) بنظر كثيرين مناقضة لروح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي نص في المادة الخامسة منه على أنه " لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو الحاطة بالكرامة "[35]، إن الاعتراض مرجعه إلى الحجاج في ترجيح مبدأ الردع أو مبدأ العدالة، إذ تميل الأحكام الشرعية الخاصة بالعقوبات إلى مبدأ الردع فيما يتعلق بحفظ الضروريات الخمس(النفس والدين والعقل والنسب والمال) التي عليها مدار الوجود الإنساني، و منهما نظام

الاجتماع الإنساني الذي يشكل المال والنسل الإنساني أحد محاوره الرئيسة، ولهذا السبب تغلظ عقوبة الزنى والقتل والسرقة، مع الأخذ بالاعتبار أن إيقاع هذه العقوبات مليء بالشروط الفقهية المعقدة التي تسقط أياً منها (العقوبات) مع وجود أدنى حد من الشبهات، وفقاً للقاعدة الفقهية " الحدود تدرأ بالشبهات "، ورغم ذلك يمكن القول: إنه لا يوجد نص صريح في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان تعارض هذه العقوبات، والجدل هو في تحديد مفهوم «العقوبات القاسية» ومعنى أن تكون العقوبات «لا إنسانية وحاطّة بالكرامة» الإنسانية، وتقع مسؤولية الشرح على عاتق الأمم المتحدة التي يجب أن تقدم ملحقات شارحة تحظى بالموافقة.

وهكذا فإنه من الصعب جداً الإصرار " على رفض التعامل مع واقع مفاده أنه بالنسبة لملايين الأفراد الذين تمتد حياتهم إلى جذور الإيمان، لم تشكل حقوق الإنسان جانباً مجدياً إلا بعد أن تم وضعها في إطار النظام الخاص بإيمانهم "[36]، أي في إطار رؤيتهم للعالم، وحتى لو وافقت الدول العربية والإسلامية تجاوز كل التحفظات الإسلامية فإن ذلك لا يعني البتة أن حقوق الإنسان قد تمت تبييتها لأن ذلك لا يتم إلا عبر تحولها إلى ثقافة، وبالتالي لا بد من مواجهة هذه الإشكاليات التي يطرحها المسلمون – يشترك في معظمها المسيحيون واليهود – مواجهة لا تجبر الناس على اعتناق الإعلانات والمواثيق بالإكراه فتنتقض بذلك أهم مبادئها وهي "الحرية ".

المصادر

1) أبو ليلى، فراج محمود: تاريخ حقوق الإنسان في التصوير الإسلامي، دار الثقافة، قطر، الطبعة الأولى، 1994م.
2) اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرآة، 18 كانون الأول / ديسمبر 1979م.
3) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، 1948م
4) أنور، زينة: "عندما لا يكون الصمت من ذهب تبدأ المرآة المسلمة بالكلام " ضمن النعيم وضيف الله في(حقوق الإنسان والخطابات الدينية).
5) البري، زكريا: حقوق الإنسان في الإسلام، دار النشر غير معروفة، الطبعة الأولى، 1997م.
6) التويجري، عبد العزيز بن عثمان: " حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية " ورقة مقدمة في الندوة الدولية لرابطة العالم الإسلامي، روما خلال الفترة 27–25شباط /فبراير 2000م.
7) الحاج، عبد الرحمن: "الردة وعقوبة المرتد: مراجعة في الجدل الفقهي الحديث "مقال في جريدة الحياة، 3أيلول / سبتمبر، 2005م.
8) حسن، بهي الدين، ومحمد السيد سعيد: حقوقنا الآن وليس غداً: المواثيق الأساسية لحقوق الإنسان، مركز القاهرة لدراسة حقوق الإنسان، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م.
9) حسن، رفعة: "حقوق المرأة في أطر المجتمعات الإسلامية " بحث مقدم إلى(لقاء الإسلام والغرب وحقوق الإنسان) تحرير الطرطومي.
10) الطرطوسي، وأخرون، نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي،(دار النشر غير معروفة) الطبعة الأولى،2000م.
11) الخطيب، عدنان: حقوق الإنسان في الإسلام: أول تقنين لمبادئ الشريعة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، 1992م.
12) رابطة العالم الإسلام: ندوة حقوق الإنسان في الإسلام: عرض وثائقي،(أعمال الندوة الدولية – التي نظمتها الرابطة في روما، وإيطاليا خلال الفترة 27–25شباط /فبراير 2000م)، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 2000م.
13) رفقة، حسن "حقوق المرأة في أطر المجتمعات الإسلامية " انظر الاطرطوسي وأخرون.
14) زيادة رضوان: مسيرة حقوق الإنسان في العالم العربي، المركز الثقافي العربي،مكان الطبع غير معروف، الطبعة الأولى، 2000م
15) سعيد،محمد السيد: (أنظر حسن،بهي الدين)
16) شيخ إدريس، جعفر: "الإسلام وحقوق الإنسان: مناقشة الأفكار غربية " ضمن الندوة الدولية للرابطة الإسلامية عن حقوق الإنسان في الإسلام، روما، 27–25شباط /فبراير 2000م.
17) ضيف الله، سيد إسماعيل(تحرير): حقوق الإنسان وتجديد الخطاب الريثي، أعمال مؤتمر نظم بالقاهرة، مصر، خلال الفترة 20–18نيسان / إبريل 2006م الطبعة الأولى 2006م.
18) عبدالعزيز، أمر: حقوق الإنسان في الإسلام، دار السلام، القاهرة، الطبعة
الأولى، 1997م.
19) عثمان، محمد فتحي: حقوق الإنسان: بين الثريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، دار الثروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م.
20) العرموطي، مازن، وأخرون(تحرير): لقاء الإسلامي والغرب وحقوق الإنسان، ملخصات الأوراق والكلمات لمؤتمر نظمه المعهد الدبلوماسي في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية خلال الفترة 10 – 12 كانون الأول / ديسمبر 1994م، الطبعة الأولى، 1996م.
21) عمارة، محمد: " الإسلام وحقوق الإنسان: ضرورات لا حقوق " ضمن سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 89 أيار / مايو 1985م.
22) الغزالي، محمد: حقوق الإنسان: بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2005م.
23) النعيم، عبدالله: " حقوق الإنسان والخطابات الدينية "، انظر ضيف الله أعلاه.
24) الغنوشي، راشد: مقاربات في الإسلام والديمقراطية، المركز المغاربي للبحوث والترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.
25) منظمة المؤتمر الإسلامي: " أول إعداد إسلامي لحقوق الإنسان "، صدر في القاهرة، مصر، 5 آب / أغسطس 1990م.
26) " الموسوعة الفقهية "، وزارة الأوقاف، الكويت، الطبعة الأولى،1996م.

مراجع أجنبية

27) Naugle، D.K. Worldview: The History of a Co – cept. Wm. B. Erdmann's Publishing، 2002.

يتوقف العالم لمدة شهرين كل أربعة أعوام لمتابعة بطولة كأس العالم لكرة القدم فبالإضافة إلى المتعة والتسلية التي يحصل عليها ملايين البشر جراء مشاهدة هذه اللعبة ، فإنها أيضاً أصبحت صناعة اقتصادية تتهافت عليها الدول وكبرى المؤسسات الاقتصادية ورجال الأعمال ، بهدف تحقيق أرباح طائلة من وراء تبني فريق معين أو تنظيم بطولة كروية ، مثل كأس العالم ، أو كأس الأمم الأوروبية أو أي بطولة محلية .

د.أحمد العساف

جنوب أفريقيا وكأس العالم لكرة القدم ٢٠١٠ .. مكاسب اقتصادية

إن حمى كأس العالم تسيطر على تلك الأجزاء من العالم التي صنعت من ركل الكرات المستديرة في الشباك المربعة عقيدة لها .ولكن هناك مجموعة معينة تراقب المنافسات من منظورها الخاص ، بالنسبة للاقتصاديين ، فإن ذلك يتعلق بما هوأكثر من ألعاب نارية في الملعب أوحتى فخر وطني .والأسئلة التي تطرح نفسها هي :

- كيف يمكن لكل هذا أن يؤثر على الاقتصاد ؟
- وهل يوجد علاقة بين الاقتصاد والألعاب الرياضية وبالتحديد كرة القدم ؟

توفر كرة القدم فرصة مثالية لأنصار علم الاقتصاد الكئيب لطرح سمعتهم الكئيبة والانغماس في بعض البحث المحبب للنفس .يقول جيم أونيل ، رئيس البحث الاقتصادي العالمي في «جولدمان ساتشس» في مقدمة لتقرير البنك الاستثماري، الواقع في 60 صفحة، حول اقتصاد كأس العالم : هل هناك أية علاقة بين كرة القدم والاقتصاد ، أوأننا فقط نبحث عن المبررات لبعض المتعة ؟»

ويصر روبن فان ليون وشارلس كلاشوفن ، مؤلفا كتاب اقتصاد كرة القدم - Soccer econo ics، الذي نشره الفريق الاقتصادي في «ايه .بي .ان .أمرو» ABN Amro، وهوبنك مقره في هولندا : إننا مقتنعون بأن لكرة القدم تأثيراً على الاقتصاد ، ولذلك فهي تبرر بعض الجهود في البحث «.

ولأن تنظيم واستضافة بطولة كأس العالم يتيح فرصة جني مكاسب اقتصادية واجتماعية وسياسية للبلد المضيف ، فإن هذه الدراسة تسعى إلى رصد الاستفادة التي ستجنيها دولة جنوب أفريقيا جراء تنظيمها لكأس العالم 2010م.

نظرة على اقتصاد جنوب أفريقيا:

تمثل أفريقيا اليوم واحدة من أكثر الأسواق الناشئة تطوراً على مستوى العالم حيث أنها تجمع بصورة فريدة بين توافر بنية تحتية عالية التطور تضاهي مثيلاتها في دول العالم المتقدم مع اقتصاد ضخم لسوق ناشئة واعدة مما أوجد بيئة مواتية للمشروعات والاستثمارات. إن تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (UNCTA) حول الاستثمار في العالم لعام 2004م صنف جنوب أفريقيا كأفضل دولة جاذبة للاستثمار للشركات المتعددة الجنسيات في عام 2003م وقد حلت الاستثمارات الأجنبية المباشرة في قطاعي الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات محل الاستثمارات في قطاعي التعدين واستخراج المعادن .

تتوافر في جنوب إفريقيا احتياطيات هائلة من الموارد المعدنية منها على سبيل المثال :

- 80%من احتياطيات العالم من المنجنيز الخام .
- 88 % من احتياطيات العالم من معادن مجموعة البلاتين .
- 45% من احتياطيات العالم من الذهب .
- 73% من احتياطيات العالم من الكروميوم .

لذلك فقد احتلت جنوب أفريقيا المركز الأول على مستوى العالم في مجال احتياطيات الموارد المعدنية وإنتاجها عام 2004م كما يتضح من الجدول التالي : (ص:85 الصفحة التالية)

جدول يوضح احتياطات العالم من الموارد المعدنية

المعدن	مركز جنوب افريقيا على مستوى العالم (الإحتياطي	مركز جنوب أفريقيا على مستوى العالم (الإنتاج)
الذهب	1	1
معادن مجموعة البلاتين	1	1
معدن الكروم الخام	1	1
الفاناديوم	2	1
سيلبيكات الألمنيوم	1	2
المنجنيز الخام	1	1
فير ميسيولايت	2	1
يورانيوم	4	10
الفحم	6	5
النيكل	5	8
الحديد الخام	9	7
الألومنيوم	-	8

ومنذ سبتمبر 1999م، فإن اقتصاد جنوب أفريقيا في نمومضطرد ، فقد بلغ معدل النموالاقتصادي السنوي 4% مقارنة مع معدل 1% سنوياً خلال الفترة 1984- 1994 وارتفع الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بنسبة 3،7%عام 2002 و3،1% عام 2003 و4،9%عام 2004 و5% في عام 2005 و5،4في عام 2006 (وتعتبر الأعلى منذ عام 1951) و5،1عام 2007، (الشكل ص:86).

واتبعت جنوب أفريقيا مجموعة من السياسات والإصلاحات الاقتصادية ، فقامت بتخفيض الضرائب وتقليص التعرفة الجمركية ، مما أدى إلى انخفاض العجز المالي وانخفاض معدل التضخم وزيادة التنافسية على المستوى الدولي وخلق المزيد من فرص العمل .فقد انخفض العجز في الموازنة بشكل درامي من 5،1%من الناتج المحلي الإجمالي في عام 1994-1993 إلى 0،5% عام 2005- 2006 (ويشكل ثاني أقل عجز تم تسجيله في تاريخ اقتصاد جنوب أفريقيا بعد أن سجل العجز 5،1 % عام 1980).

وفي عام 2006-2007 سجلت جنوب أفريقيا أول فائض في ميزانيتها مسجلة 0،3% من الناتج المحلي الإجمالي .

معدل التضخم / جنوب أفريقيا

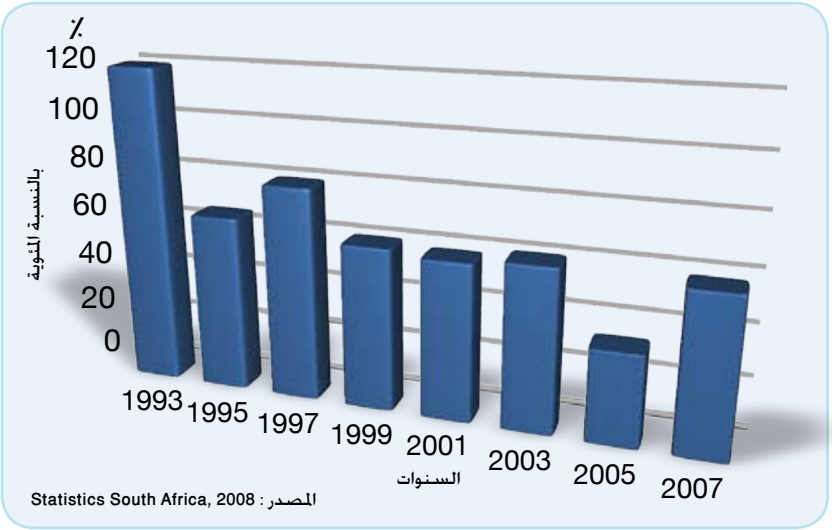

وكذلك انخفض معدل التضخم من 11،7% عام 1993 ليصل إلى أقل من 5 % خلال الفترة (2004-2006م) وذلك قبل أن تدفعه الأسعار العالمية للارتفاع إلى 6،5% عام 2007م.

تعرضت جنوب أفريقيا مثل بقية دول العالم لانكماش اقتصادي نتيجة الأزمة المالية العالمية ، وأظهرت معظم الدراسات أن جنوب أفريقيا لن ترى بوادر الانتعاش من جديد قبل عام 2010م.

وحسب منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية تسبب الانكماش أيضاً في إلغاء (724) ألف وظيفة خلال عام واحد وبات من الصعب على الرئيس جاكوب زوما المنتخب في أيار/مايو، الوفاء بوعود مكافحة الفقر المزمن .لقد اتسمت الأشهر الأولى التي قضاها في رئاسة البلاد بسلسلة من الاضرابات والتظاهرات العنيفة في مدن الصفيح للمطالبة بمياه الشرب والكهرباء والمراكز الصحية والتربية .وبعد 15 سنة من انهيار نظام التمييز العنصري ما زال 43% من سكان البلاد وعددهم 48مليون يعيشون بأقل من دولارين في اليوم .وفي مواجهة الأزمة فضلت الحكومة بدلاً من دعم المؤسسات التي تعاني من صعوبات أن تركز على مشاريع بناء كبرى ، استعداداً لكأس العالم لكرة القدم سنة 2010م وتعد بتوفير آلاف الوظائف في قطاع عام متداع .لكن أمام جنوب أفريقيا أيضاً قارب نجاة رائع يتمثل في تنامي السياحة وغيرها من النشاطات المرتبطة بالمونديال الإفريقي المقرر من 11 حزيران / يونيو إلى 11 تموز / يوليو 2010م.

كأس العالم عبر التاريخ

في 30«نوفمبر» 1872م انطلقت صفارة حكم أول مباراة جمعت كل من انجلترا واسكتلاندا

أبرز المؤشرات الاقتصادية / جنوب أفريقيا

المؤشر	السنة	(القيمة / دولار) (%)	الترتيب على المستوى العالمي
الدين العام الخارجي (نسبة من الناتج المحلي الإجمالي)	2007	(% 31.3) 64.800	69 - 39
الحرية الاقتصادية	2007	2.35	51
الصادرات	2007	76.190	38
الناتج المحلي الإجمالي	2006	254.991	26
(GDP – PPP)	2005	510.102	20
معدل النمو الحقيقي للناتج المحلي الإجمالي	2007	% 5.1	101
فئة الدخل Income category	2007	Lower Middle income	
المعدل تحت خط الفقر	2007	% 50	23
الوافدين من السياح	2007	5.437.00	22

طبقاً لتقرير
(Heritage Foundation)
المصدر :
United Nations " World statistical Pocket book" and " statistical " year book "
World Bank
World Development indicator database
CIA. World Fact book

معلنة بذلك انطلاق أول مباراة رسمية ، وتوالت بعد ذلك البطولات فأقميت بطولة لكرة القدم التي ضمت 21دولة في عام 1925م .أما في عام 1930 فقد نظمت أول بطولة لكأس العالم من الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) بمشاركة 36 دولة .وبعد عشرين عاماً ارتفع عدد الأعضاء في منظمة (الفيفا) إلى 41 دولة.

كأس العالم 2010م هي البطولة التاسعة عشرة وستقام في الفترة بين 11 يونيو و11يوليو 2010م وستكون هذه المرة الأولى التي تقام البطولة في قارة أفريقيا.

وينظمها الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) الذي قرر نظام تبادل استضافة البطولة بين القارات ، وقد حصلت جنوب أفريقيا على حقها في استضافة بطولة كأس العالم عام 2010م في تنافس دخل فيه كل من مصر والمغرب وليبيا وتونس ، واستطاعت جنوب أفريقيا حصد أكثر الأصوات بين أعضاء الاتحاد الدولي لكرة القدم ، وبذلك تمّ الإعلان في زيورخ بتاريخ 15 مارس 2004 م بأن جنوب أفريقيا هي الدولة الفائزة باستضافة كأس العالم لعام 2010 م .

والجدول التالي يوضح نقاط القوة والضعف للدول الأربع التي تنافست لنيل شرف تنظيم كأس العالم لعام 2010م.

الدول الأربع التي تنافست لنيل شرف تنظيم كأس العالم لعام ٢٠١٠

الدولة	تكاليف الاستعداد لتنظيم البطولة	المكاسب الاقتصادية والسياسية المتوقعة	نقاط القوة	نقاط الضعف
مصر	865 مليون دولار تشمل البنية التحتية مثل تجهيزات الملاعب والاحتياجات الفنية والتكنولوجية والاتصالات بالإضافة للتكاليف الأمنية .	مليار دولار كصافي أرباح مباشرة بالإضافة إلى الأرباح غير المباشرة كالسياحة .	– الموقع الجغرافي المتوسط بين القارات . – بنية تحتية معقولة خاصة في المدن الرئيسة . – خبرة في تنظيم البطولات الكبرى (مثل : دورة الألعاب الأفريقية عام 91، كأس العالم للناشئين في كرة القدم 1997 ، بطولة العالم لكرة اليد 1999) .	– الازدحام الشديد . – ارتفاع نسبة التلوث خاصة في العاصمة القاهرة وهي النقطة التي كانت سبباً في استبعاد ملف مصر من سباق البرعة لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية عام 2008 .
المغرب	650 مليون تمثل بعضها إكمال بناء ملعبي طنجة ومراكش اللّذين بدأت أعمال البناء فيهما عام 2005 بالإضافة إلى بناء ملعب أغادير.	مليار دولار صافي أرباح مباشرة عدا الأرباح غير المباشرة .	– توفر 6 ملاعب جاهزة مطابقة للمعايير الدولية . – تاريخ المغرب الكروي . – الموقع الجغرافي القريب من القارات الثلاث .	– ضعف البنية التحتية . – الهاجس الأمني .
ليبيا وتونس(3)	أعلنت ليبيا عن تخصيص 14 مليار دولار للإنفاق على التجهيزات الكاملة واللازمة لاستضافة كأس العالم .	مليار دولار عائدات للبلدين، توفير آلاف فرص العمل لحل أزمة البطالة في تونس والتي تصل إلى 40 % أما ليبيا فإنها لا تسعى لمكاسب مادية بقدر سعيها لمكاسب سياسية لتحسين سمعتها وتأكيد الاندماج مع المجتمع الدولي بعد رفع العقوبات عنها عام 2003 .	– بنية تحتية ورياضية جيدة (تنظيم كأس العالم لكرة اليد عام 2005 وكأس الأمم الأفريقية عامي (1965 ، 1994)، ألعاب المتوسط عامي (2001 ، 1967) . – الموقع الجغرافي . – اقتصاد قوي .	– ضعف البنية التحتية في ليبيا . – التشكيك في قدرة البلدين على التنظيم الفعال للمونديال . – الهاجس الأمني .
جنوب أفريقيا	245 مليون دولار لتطوير ملاعب كرة القدم .	مليار دولار كعائدات مباشرة بالإضافة إلى العائدات غير المباشرة كحل مشكلة البطالة .	– الخبرة السابقة في تنظيم الألعاب المختلفة(i) . – إمكانيات مادية واقتصادية قوية .	– المشاكل الأمنية . – بنية أساسية رياضية صالحة للعبة الرجبي وليس لكرة القدم . – البُعد الجغرافي .

مدى جاهزية جنوب أفريقيا وحساب التكاليف

أعربت جنوب أفريقيا يوم الخميس 11/يونيو 2009م من مدينة كيب تاون المنتجع عن ثقتها في قدراتها على استضافة الحادث الكروى الدولي.

وذكر بطرس مولانسى ، نائب رئيس جنوب أفريقيا ، في الجلسة الكاملة للمنتدى الاقتصادي العالمي حول أفريقيا أن جنوب أفريقيا أثبتت بوضوح قدراتها على استضافة الأحداث الدولية الكبرى بنجاح ، مشيراً إلى بطولات كأس العالم في الرجبى والكريكيت. وقال دانيل الكسندر جوردان المسؤول التنفيذي الأول عن لجنة تنظيم بطولة كأس العالم للفيفا 2010م : إن جنوب أفريقيا تعد من أكثر الدول استعداداً على الإطلاق لاستضافة هذا الحدث ، على أساس التقييمات المستقلة سواء في مراحل عرض الاستضافة أو الاستعداد لها.

وقالت هيلين زيلي وزيرة مقاطعة الكاب الغربي بجنوب أفريقيا :» التعاون بين أجهزة الحكومة في هذا المشروع يعد أفضل من أي مشروع آخر « كما أشادت بمشاركة مؤسسات المدينة والمقاطعات والمؤسسات الوطنية.

ويرى داني جوردان – رئيس اللجنة المنظمة – أن أفريقيا ستكون قادرة على استضافة « بطولة على مستوى عالمي « في عام 2010م، مستشهداً بالتقنية التي ستستخدم لأول مرة والتي تسمح للمشجعين بمشاهدة مباريات كاملة على الهواتف النقالة (المحمولة) وتسمى هذه التقنية ب (دي بي في أيش).

ويتوقع مدير البث التلفزيوني بالفيفا (نيكولاس أريكسون) أن تجني الفيفا نحو 2،5مليار دولار من بيع حقوق البث الإعلامي لكأس القارات عام 2009م وكأس العالم عام 2010م. في فبراير عام 2008م أعلنت حكومة جنوب أفريقيا عن الميزانية المرصودة كنفقات لتجهيزات كأس العام 2010م والبالغة (3،7) مليار دولار موزعة على نحو التالي :

نفقات جنوب أفريقيا المتعلقة بكأس العالم

أوجه الإنفاق	القيمة (مليون دولار)
بناء وتشييد الملاعب	1324
النقل	1578
الاتصالات السلكية واللاسلكية	40
العمليات الخاصة بالمونديال	42
السلامة والأمن	41
تدريب المتطوعين	3.4
البنية التحتية للمنافذ الحدودية	471
دعم إجراءات الوصول	84.8
الاتصالات ، الاستضافة ، ... الخ	67.8

ا) بناء وتشيد الملاعب

تبلغ تكلفة بناء الملاعب العشرة المخصصة لمباريات كأس العالم في جنوب أفريقيا حوالي 1،3مليار دولار ، وقد تم تجهيزها لتستوعب ما يزيد عن (570،000) شخص .

الجدول التالي يوضح أهم المؤشرات لبناء الملاعب العشرة :

المؤشرات العامة للملاعب العشرة المخصصة للبطولة

الرقم	الملعب	المدينة	القدرة الاستيعابية	الميزانية (مليون دولار)	تاريخ البناء	العائد الاقتصادي المتوقع من الإنفاق	
						نوع العائد	القيمة (مليون دولار)
1	ملعب مدينة كرة القدم	جوهانسبرج	94.700	214	2007	– عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	300 32.3 **21000**
2	ملعب حديقة أيليس	جوهانسبرج	61.000	31	2007	–عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	17.4 108 **1179**
3	ملعب النقطة الخضراء	كيب تاون	70.000	263.8	2007	–عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	264 25.6 **16700**
4	ملعب الملك سنزا نكاجونا	دربن	70.000	246	2006	–عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	208 21.6 **14300**
5	ملعب نلسون مانديلا	بورت إليزابث	50.000	132	2007	–عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	153 15.9 **10400**
6	ملعب موبومبيلا	نيلسبرويت	46.000	117	2007	–عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	**بيانات غير متوفرة**
7	ملعب بيتر موجابا	بولوكوان	46.000	23.6	2007	–عائد مباشر وغير مباشر –عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود –عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	107.7 11.1 **7300**

المؤشرات العامة للملاعب العشرة المخصصة للبطولة (٢)

الرقم	الملعب	المدينة	القدرة الاستيعابية	الميزانية (مليون دولار)	تاريخ البناء	العائد الاقتصادي المتوقع من الإنفاق	
						نوع العائد	القيمة (مليون دولار)
8	ملعب المنطقة الحرة	بلويمفونتاين	48.000	29.8	2007	-عائد مباشر وغير مباشر -عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود -عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	24.6 2.6 1670
9	ملعب بافوكنج الملكي	راشينبورج	42.000	19.8	2007	-عائد مباشر وغير مباشر -عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود -عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	بيانات غير متوفرة
10	ملعب لوفتس فيرسفلدا	بريتوريا	52.000	13.3	2007	-عائد مباشر وغير مباشر -عائد المواطنين من ذوي الدخل المحدود -عدد فرص العمل المباشرة وغير المباشرة	0.9 0.1 62

٢) الطرق والمواصلات

تبلغ تكلفة تجهيز الطرق بمختلف أنواعها حوالي 1،6مليار دولار وتستغل جنوب أفريقيا حدث كأس العالم لتصنع ثورة في نظام المواصلات في جنوب أفريقيا من خلال الاستثمار في :

- النقل العام والبنية التحتية للطرق .
- تطوير شبكة السِّكك الحديدية .
- تطوير شبكة مترو الأنفاق .
- أنظمة حافلات النقل السريع .
- أنظمة مراكز الاتصال على الطرق .
- شبكة اتصال المطارات بالمدن .
- خدمات الشحن .
- نظام سلامة الركاب .
- أنظمة النقل الذكية .

حيث تعمد الحكومة لتأمين (3035) من باصات الركوب السياحية ، و(60) قطاراً حديثاً متوفراً كل خمس دقائق في أوقات الذروة وبواقع 16-14 ساعة خدمة يومياً.

وتأتي هذه الاستعدادات الضخمة للتغلب على المسافات الشاسعة بين المدن التي ستستضيف المباريات والبالغ عددها (64) مباراة، ويبلغ متوسط نصيب كل مدينة(7) مباريات.

وتعد قضية البعد الجغرافي للمدن من أكثر ما يؤرق المنظمين لكأس العالم ، وبنظرة سريعة لجدول المسافات يتضح أن هذه المسافات تحتاج إلى أدوات نقل فعالة وسريعة وآمنة عوضاً عن التكاليف التي سيتكبدها الزائر للتنقل بين هذه المدن والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً .

البعد الجغرافي للمدن

كيب تاون	بلويمفونتاين	دربن	جوهاسنبرج	نيلسبرويت	بولوكوان	بورت اليزابيث	تيسواين	راشينبورج
كيب تاون	1000	1660	1405	1779	1736	756	1463	1385
بلويمفونتاين	670	420	771	750	635	475	441
دربن	598	689	929	927	656	711
جوهاسنبرج	358	331	1062	60	121
نيلسبرويت	320	1373	342	445
بولوكوان	1393	73	376
بورت اليزابيث	1119	1105
تيسواين	105
راشينبورج

مدة الرحلة بين المدن المستضيفة للبطولة (كيلومتر)

المدينة	مدة الرحلة حتى كيب تاون (ساعة)	
	براً	جواً
بولوكوان	18 ساعة	4 ساعات
نيلسبرويت	18 ساعة	3 ساعات
راشينبورج	14 ساعة	–
تيسواين	15 ساعة	2.30 ساعة
جوهاسنبرج	14 ساعة	2.30 ساعة
بلويمفونتاين	10 ساعات	2 ساعة
دربن	18 ساعة	2 ساعة
بورت اليزابيث	8 ساعات	1.30 ساعة

المصدر : الاتحاد الدولي لكرة القدم . كأس العالم في جنوب أفريقيا

٣) تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

سيتم ربط الملاعب العشرة بشبكة متخصصة بالعالم، حيث إنّ المحطة الفضائية والبنية التحتية للاتصالات السلكية واللاسلكية سوف تكون قادرة على دعم النقل ب (40) غيغا بايت في الثانية الواحدة. وتتعهد الحكومة بتوفير البنية التحتية اللازمة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بما يتوافق ومتطلبات الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا).

بما في ذلك السلكية واللاسلكية والهاتفية الوطنية والدولية والبيانات وأنظمة تبادل الصوت والصورة. ومن المتوقع أن تعمل شركة الاتصالات السلكية واللاسلكية (Sentech) المملوكة للدولة على تمكين 80% من سكان جنوب أفريقيا لمشاهدة مباريات كأس العالم عبر التلفزيون الرقمي (Digital Television) (41).

كما ستعمد شركة (Sentech) إلى تنفيذ البنية التحتية لقمر اتصالات احتياطي لتوفير الطاقة الإضافية المطلوبة .

وبما أن الاتحاد الدولي لكرة القدم يلزم جنوب أفريقيا بتطوير ورفع مستوى البنية التحتية للاتصالات السلكية واللاسلكية، فقد قامت شركة تلكوم (أكبر مزود لخدمات الاتصالات في القارة الأفريقية) بتوفير البنية التحتية لشبكة الهواتف الثابتة حيث قامت باستثمار (430) مليون دولار بين عام (2006–2010م) في تطوير شبكات الجيل التالي،هذه الشبكة ستساهم في نقل (الصوت والفيديو والبيانات) ، وتساعد في زيادة عرض النطاق الترددي.

كما سيتم تثبيت كل ملعب محلي بمجال الاتصالات السلكية واللاسلكية لدعم البنية التحتية للاتصالات على نطاق أوسع ومن المتوقع أن يصل عائد هذه التكنولوجيا في هذا الحدث حوالي (1،5) مليار دولار.

هذا وقد رصدت الحكومة مبلغ 40 مليون دولار لتطوير شبكة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

٤) إمدادات الكهرباء

تعتبر إمدادات الكهرباء نقطة ضعف رئيسة لجنوب أفريقيا.

فهي تعاني من ضعف واضح في تزويد الكهرباء على مدى نصف القرن الماضي. ولمجابهة هذا التحدي قامت شركة (اسكوم) بالتعاون مع وزارة المعادن والطاقة في جنوب أفريقيا بتنفيذ المشاريع اللازمة لتوليد وتوزيع نقل الكهرباء لكافة المدن المستضيفة للمباريات، وعين لذلك فريق متخصص لضمان تلبية احتياجات كأس العالم من الكهرباء .

٥) السلامة والأمن

كشفت الإحصائيات السنوية المتعلقة بالجريمة عن ارتفاع معدل الجريمة في جنوب أفريقيا، وأوضحت صحيفة لوس أنجلوس تايمز ارتفاع معدل سرقات المنازل بنسبة 27% في العام 2009 عن العام 2008 ، وارتفاع معدل السرقة في الأعمال التجارية إلى أكثر من 41% بالإضافة إلى ارتفاع معدلات الجرائم المتعلقة بالجنس إلى 15% وسرقة السيارات بنسبة 5% .

وتحاول جنوب أفريقيا جاهدة العمل على الحد من جرائم العنف فهي الدولة العليا في معدلات جرائم القتل على مستوى العالم . فضلاً عن تخوفها من حدوث جريمة كبرى تعكر صفو حدث كأس العالم .

والجدير بالذكر أن معدلات انتشار الجريمة التي أشرنا إليها تثير قلق الاتحاد الدولي لكرة القدم بشكل أكبر مما يثيره شغب الملاعب المحتمل خلال البطولة .

وازداد تخوف الفيفا بعد حدوث عملية سطو مسلح على "أعتاب أبواب " مكاتب الاتحاد الدولي لكرة القدم في جوهانسبرج ، حيث ذكر تقرير صحيفة " ويك ايندز" إنّ عملية السطو هذه حدثت بالقرب من ستاد سوكر ستي وداخل مبنى الاتحاد الوطني لكرة القدم في جنوب أفريقيا والذي يضم أيضاً مكاتب الفيفا ، حيث قام خمسة مسلحين باقتحام المبنى وأصابوا أحد موظفي الاتحاد بجروح بالغة بعد أن استولوا على العديد من أجهزة الحاسوب والأغراض التقنية..

ولمواجهة هذا التحدي فقد قامت الحكومة باتخاذ الإجراءات الكفيلة لضمان أمن وسلامة ملايين المشاهدين الذين سيأتون لحضور المونديال

أبرز ملامح الجريمة في جنوب أفريقيا

الجريمة	العدد	الترتيب عالمياً
الاعتداءات	548847	2
السطو	393.959	4
سرقة المركبات	93133	6
عقوبة الإعدام (والتي أعدمت)	197	15
جرائم المخدرات لكل 100.00 من السكان	53.810	4
جرائم القتل لكل 100.00 من السكان	126	2
الاختطاف	3071	2
القتل المسلح	21553	1
إجمالي عدد الجرائم	2683849	7

المصدر : (The Eighth United Nations Survey on crime trends and the operations of criminal justice systems (2002 .

وذلك من خلال :
التعاون مع الوكالات المعنية لجمع المعلومات الاستخبارية.
التركيز على قضايا أمن الحدود في موانئ الدخول البرية والجوية والبحرية .
تأمين الطرق بين موانئ الدخول والمدن من جهة وبين المدن العشر من جهة أخرى.
تواجد فرق خاصة لحماية مقر الفيفا والفنادق ومنشآت المبيت الأخرى والملاعب والحدائق والمطاعم والأماكن السياحية .
تجهيز 41،000شرطي وتزويدهم بأحدث التكنولوجيا المستخدمة عالمياً وتدعيمهم بـ(40) طائرة هيلكوبتر للمساندة عند الحاجة.
تخصيص (89،5) مليون دولار للإنفاق على شراء المعدات الأمنية الخاصة بما في ذلك معدات مكافحة الشغب وطائرات بدون طيار .
تخصيص 300 كاميرا متنقلة.
تخصيص أربعة مراكز قيادة كبرى متنقلة بـ(0،5) مليون دولار مزودة بالتكنولوجيا فائقة الجودة ومعدات رصد حديثة وستكون قادرة على الحصول على لقطات حية من الطائرات وغيرها بآلات التصوير .

٦) السياحة والإقامة

تستضيف جنوب أفريقيا تسعة ملايين زائر أجنبي سنوياً وأكثر من 400،000 زائر شهرياً في المتوسط وتسعى لاستغلال كأس العالم لمواصلة تطوير صناعة السياحة وتحاول وزارة السِّياحة في جنوب أفريقيا تأمين 55،000 غرفة مطلوبة للفرق وكبار الشخصيات ووسائل الإعلام والزوار .
كما قامت الوزارة بتخصيص مبلغ (27) مليون دولار لتأهيل وتطوير المشاريع الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر المرتبطة بتوفير المساكن بالإضافة إلى برامج تدريب مشغلي الجولات السياحية والجذب السياحي وقد شرعت في إعداد البرامج لبناء المهارات ومستويات الخدمة وتشمل :
خطة لتطوير مهارات العاملين في القطاع السياحي .
استراتيجية لبناء وتأهيل الموارد البشرية العاملة في القطاع السياحي .
برنامج التدريب على اللغات والتخصص في اللغة الفرنسية والألمانية والبرتغالية والأسبانية والصينية، برنامج السفير السياحي من خلال تدريب 180 متطوعاً لنشر الوعي السياحي .

٧) التجهيزات المتعلقة بالوصول

قامت حكومة جنوب أفريقيا بتطوير التأشيرات خاصة التي ستمكن حاملي التذاكر من الدخول للبلد بكل سهولة . كما قامت بتطوير نظام التأشيرات وإجراءات دخول وفود الفيفا والفرق المشاركة ، وذلك يشمل إصدار التأشيرات وتصاريح العمل اللازمة والأولويات في موانئ الدخول المختلفة . كما قامت الحكومة بإجراء العمليات التالية لضمان الدخول السلس للوافدين وتشمل :

تسريع عمليات الدخول من خلال "المسار السريع" .

التأكد من سلامة التأشيرات للمسافرين قبل أن يستقلوا الطائرة إلى مقصدها.

نظام متطور لإدارة الحركة والسيطرة على التأشيرات والهجرة واللاجئين والإبعاد والأمن .

توقيع اتفاقيات ثنائية ودولية مع دول الاتحاد الأفريقي لتسهيل حركة القادمين من القارة الإفريقية .

زيادة أعداد العاملين من الطواقم الإدارية في معابر الدخول بنسبة 30% .

وتسعى الحكومة لتطبيق برنامج طويل الأجل لرفع مستوى البنية التحتية في منافذ الدخول وذلك يشمل الاستثمار في البنية التحتية لتطوير تكنولوجيا المعلومات في المطارات بتكلفة (9،5) مليون دولار و(200) مليون دولار في موانئ الدخول البرية و(20) مليون دولار في الموانئ البحرية .

تذاكر كأس العالم ٢٠١٠م

ستطرح للبيع أكثر من ثلاثة ملايين تذكرة تخص 64مباراة بالبطولة ستقام في عشرة استادات مختلفة بجنوب أفريقيا . كما ستطرح نحو 1،5مليون تذكرة للبيع للجمهور وسيقسم هذا العدد إلى 740 ألف تذكرة طرحت للبيع و570 ألف تذكرة ستباع في وقت لاحق هذا العام للجمهور في البلاد التي تتأهل للنهائيات و344 ألف تذكرة أمن ، تُشْتَرى التذاكر من خلال الشركة الرسمية الموكلة لبيع التذاكر .

ويحق للشركات الراعية لكأس العالم الحصول على 550ألف تذكرة إضافة إلى 380 ألف تذكرة للبلد المضيف ، كما

يحق لمالك حقوق بث البطولة عبر التلفزيون الحصول على 66 ألف تذكرة .

وسيحتفظ الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) بـ (200) ألف تذكرة للاتحادات الأعضاء فيه والتي لم تتأهل فرقها للنهائيات وستمنح 89600 تذكرة لكل بلد مشارك في النهائيات وستمنح اللجنة المنظمة في جنوب أفريقيا 91 ألف تذكرة لتوزيعها ، وسيتم بيع التذاكر من خلال موقع الفيفا على الانترنت ، وفي جنوب أفريقيا ، ستُباع التذاكر أيضاً من خلال نماذج طلبات وبطاقات ائتمان سابقة الدفع ستتوافر بفروع بنكية في مختلف أنحاء البلاد.

وسيبيع الفيفا نوعين من التذاكر : تذاكر لمباريات فردية ، ومجموعة تذاكر لمباريات فريق بعينه للسماح للمشجعين بمرافقة فرقهم ويمكن أن يصل عدد المباريات في النوع الثاني إلى سبع مباريات حسب تقدم الفريق في البطولة .

يمكن للمشجعين اختيار أي فريق لا يزال يملك فرصة للتأهل وفي حالة عدم تأهل الفريق سيحصل المشجع على قيمة التذاكر مرة أخرى .

وسيمنح الفيفا 120ألف تذكرة مجاناً لسكان المناطق الأكثر فقراً في جنوب أفريقيا.

وتتراوح أسعار التذاكر بين 20 دولاراً لأرخص تذكرة و900 دولار لأغلاها . كما تتراوح أسعار تذاكر مباراة الافتتاح بين 70و450 دولاراً ، وتذكر المباريات في دور المجموعات بين 20و 160 دولاراً وتذاكر المباريات في أدوار خروج المغلوب بين 50و600 دولار . أما المباراة النهائية فتتراوح أسعار تذاكرها بين 150و900 دولار .

المكاسب الاقتصادية المتوقعة لجنوب أفريقيا

تأتي الأرباح من تنظيم بطولات كأس العالم من خلال عدة منافذ ومنها :

بيع حق البث

بيع حق البث التلفزيوني للشركات العالمية .

المبالغ التي يدفعها الوكلاء Sponsors لتنظيم البطولة .

التعاقدات التي تقدمها شركات الدعاية للإعلان عن منتجاتها خلال المباريات .

ارتفاع نسبة الإشغال الفندقي ورفع معدلات الازدهار السياحي .

تذاكر المباريات التي تتعدى في بعض الأحيان حاجز الألف دولار .

أما جنوب أفريقيا فإنها تأمل في :

جذب 500،000 زائر خلال بطولة كأس العالم والتي تعلق عليها في جذب تحفيز عجلة النمو والاستثمار الحكومي في البنية التحتية للبلاد إلى جانب تحسين صورة إفريقيا من حيث قدرتها على الإنتاج وتحقيق النجاح .

مساهمة بطولة كأس العالم 2010م بـ (609) مليار دولار للناتج المحلي الإجمالي في جنوب أفريقيا خلال الفترة 2006م – 2010م.

ثم إنجاز خلق فرص عمل جديدة بلغت 80،000 وظيفة من عام 2008م ويُتوقع أن يتم خلق 116000 وظيفة أخرى مع نهاية البطولة .

وكانت الاستفادة ارتفاع عدد العاملين في قطاع التشييد والبناء من 60،000 عامل عام 2006م إلى 100،000 عامل عام 2008م ، يرى بعض الخبراء في هذا القطاع أن يرتفع هذا الرقم

ليتجاوز الـ 160،000 بحلول 2013م.

أن تكون العوائد المباشرة وغير المباشرة لبناء ستة ملاعب جديدة (2،5) مليار دولار .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ، ما هي الآلية المناسبة لحساب المكاسب التي ستجنيها جنوب أفريقيا من هذا المشروع ؟ وخصوصاً أن شكوكاً كثيرة تحوم حول مصير الملاعب التي شيدت بنفقات باهظة التكاليف .

وقبل الإجابة على هذا السؤال ، فإن نظرة تاريخية على تجارب الدول المستضيفة لكأس العالم تكشف عن أن :

في سبع بطولات من الـ 13 بطولة منذ عام 1954م، كان النمو الاقتصادي أبطأ في عام الحدث مقارنة بالعامين اللذين سبقا الحدث .

في المتوسط فإن النمو الاقتصادي في عام البطولة كان أبطأ من الأعوام السابقة واللاحقة على حد سواء . ومع ذلك فإن هناك مؤشرات جيدة تفيد بأن :

في تسع من البطولات الثلاث عشرة التي أقيمت منذ عام 1954م كان النمو الاقتصادي أسرع في السنتين التاليتين لسنة البطولة .

وفي المتوسط ، فإن النمو الاقتصادي أظهر بأنه أقوى في السنتين التاليتين للبطولة من سنة تنظيم البطولة أو السنتين السابقتين لتنظيم البطولة .

ويمكن القول : إن مونديال كأس العالم أدّى إلى زيادة في معدل الناتج الإجمالي المحلي للبلد المستضيف سواء في عام الحدث أو في أعقاب الحدث المباشرة .

ويعرض الجدول التالي معدل النمو في الناتج الإجمالي المحلي في السنتين السابقتين لكأس العالم مقارنةً مع معدل النمو في سنة الحدث فضلاً عن السنتين التاليتين للحدث .

معدل النمو في الناتج المحلي الإجمالي للبلد المضيف

السنة	البلد المضيف	السنتين السابقتين للبطولة	سنة البطولة	السنتين اللاحقتين للبطولة
1954	سويسرا	% 4.4	% 5.5	% 6.4
1958	السويد	% 2.6	% 2.9	% 4.2
1962	تشيلي	% 4.8	% 4.7	% 4.3
1966	بريطانيا	% 2.1	% 2.0	% 3.3
1970	المكسيك	% 6.6	% 6.9	% 6.3
1974	ألمانيا	% 2.5	% 0.3	% 1.8
1978	الأرجنتين	% 1.5	% 3.2	% 4.2
1982	أسبانيا	% 0.6	% 1.2	% 1.8
1986	المكسيك	% 0.5	% 3.1	% 1.5
1990	إيطاليا	% 2.4	% 2.0	% 2.5
1994	الولايات المتحدة الأمريكية	% 3.3	% 4.0	% 3.1
1998	فرنسا	% 2.2	% 1.9	% 3.1
2002	كوريا / اليابان	% 2.8	% 3.6	% 3.2
2006	ألمانيا	% 0.4	% 1.5	% 2.6
الوسط الحسابي		% 2.6	% 3.0	% 3.4
الوسيط		**% 2.4**	**% 3.0**	**% 3.5**

المصدر : IMF/IFS,http://ifs.apdi.net/imf/logon.aspx

التحليل الاقتصادي باستخدام أثر المضاعف

تكمن الفكرة الأساسية وراء قياس تأثير الأحداث الرياضية هو أنه يتم حقن الجسم الاقتصادي بكميات كبيرة ومتزايدة من الطلب على السلع والخدمات في أي اقتصاد وهذا الأثر لا يقتصر على الآثار المباشرة والمتأتية من الاستثمارات في فترة ما قبل الحدث الرياضي ، أو إنفاق المستهلكين خلال الحدث كشراء التذاكر ، بل يتعدى ذلك إلى الآثار غير المباشرة الناجمة عن التحفيز على الأنشطة الاقتصادية التي تسببها الآثار المباشرة على سبيل المثال إذا كان إنفاق المشاهدين أدى إلى توليد دخل مقداره (100) دولار لأحد المطاعم ، فإن جزءاً من هذا الدخل ، لنقل (50%) سوف تنفق على السلع والخدمات المقدمة من الموردين في أماكن أخرى من الاقتصاد ، وبالتالي توليد مكاسب اقتصادية تقدر بـ (50دولاراً) لهؤلاء الموردين ، وإذا أنفق هؤلاء الموردون (50%) مما يحصلون عليه ، فإن جولة أخرى من التحفيز الاقتصادي ستحدث (25دولاراً) وستستمر هذه العملية إلى ما لا نهاية ، ولكن بعد عدد قليل من الجولات ستكون حجم الزيادة ضئيلة.

ولو نظرنا إلى المثال السابق فإن مجموع الآثار المباشرة وغير المباشرة هو(100+50+25+1205).....ألخ.

وبمعنى آخر فإنّه يمكن القول إن التأثير الكلي يساوي التأثير المباشر مضروباً بمجموع1+0.5+(0.5×0.5). ويتبين أن قيمة هذا المبلغ يساوي، 1/0.5 ويساوي 2، وبالتالي فإن الأثر أو التأثير الكلي هو 2 مضروباً بالأثر المباشر، أي 200 دولار ويسمى ذلك بالمضاعف. ولمعرفة أثر المضاعف على جنوب أفريقيا فإنه علينا أولاً أن نفترض أن كل جزء من الإنفاق في حلقة الدخل سيستخدم للاستهلاك على اعتبار أن الإنفاق يقع بين صفر والواحد الصحيح ، إذن فإن المجموع سيكون

(1+E+E2+.....=1/E-1).

تمثل الإنفاق). فإذا E حيث إن)

فإن المضاعف هو 2 ، وإذا E=(كانت0.5

فإن المضاعف هو 10 ، فكلما E=(كانت (0.9

كان الجزء المخصص من الدخل يذهب للإنفاق . ، كلما كان أثر المضاعف أكبر

وحيث إن الحكومة ستقوم باقتطاع 31% لصالح ضريبة الدخل ، فإن (E) لن تكون أكثر من (0.69) ، وحيث إن 67% من الدخل يذهب للاستهلاك في جنوب أفريقيا ، ومن هذا الاستهلاك يذهب حوالي 40% على السلع المستوردة ، فإن ذلك يعني أن قيمة (2) في كل دورة ستكون (0.60× 0.67×0.69) =0.28، وسيكون المضاعف يساوي1.39.

تقدير الأثر الاقتصادي على جنوب أفريقيا

يعتبر الاستثمار في المنشآت الجديدة ، ونفقات الاستهلاك من قبل الزوار من الخارج هما العاملان الرئيسان اللذان يساعدان على تقدير الآثار الاقتصادية لكأس العالم .

أولاً : الإنفاق الاستثماري

بلغ مجموع الإنفاق الاستثماري والمتعلق ببناء وتشييد الملاعب (1،3) مليار دولار .

ثانياً : الإنفاق الاستهلاكي

إذا كان الإنفاق الاستهلاكي مرتبطاً بالزوار الأجانب فقط ، فإن عدد الزوار المتوقع هو 500،000 زائر ، وإذا افترضنا أن هؤلاء الزوار هم من مؤيدي جميع البلدان المشاركة في المباريات ، هذا يعني أن نصيب كل دولة هو 16،000 مشجع . وعلى افتراض أن معدل القدرة الاستيعابية لمعظم الملاعب لن يزيد عن 60،000 مقعد ، فإن كامل القدرة الاستيعابية ستكون 2،4 مليون مقعد (على اعتبار أن الزوار الأجانب سيشكلون ربع العدد الإجمالي لحضور كل مباراة).

وعن إنفاق الزوار خلال فترة بقائهم في جنوب أفريقيا ، إذا كان معدل الإنفاق للزائر الواحد في كأس العالم في ألمانيا (700)دولار ، و(2500) دولار في كأس العالم في اليابان وكوريا ، فإنه من المتوقع أن ينفق الزائر الواحد في جنوب أفريقيا (3000) دولار (مع الأخذ بعين الاعتبار المسافات البعيدة بين المدن) وعليه فإن مجموع ما سينفقه الزوار الأجانب سيبلغ (1،5) مليار دولار .

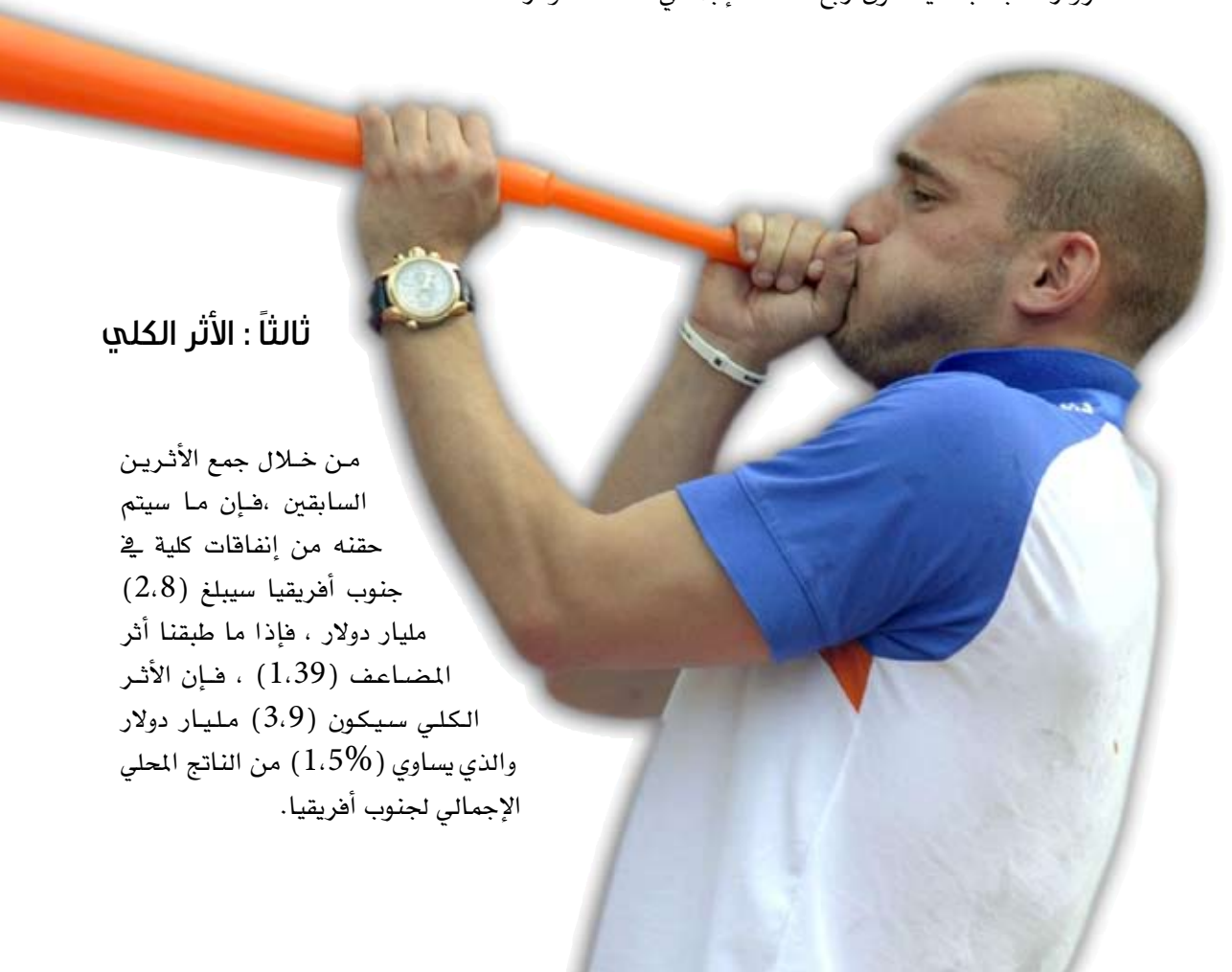

ثالثاً : الأثر الكلي

من خلال جمع الأثرين السابقين ،فإن ما سيتم حقنه من إنفاقات كلية في جنوب أفريقيا سيبلغ (2،8) مليار دولار ، فإذا ما طبقنا أثر المضاعف (1،39) ، فإن الأثر الكلي سيكون (3،9) مليار دولار والذي يساوي (1،5%) من الناتج المحلي الإجمالي لجنوب أفريقيا.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1) خليل العناتي ،مكاسب مونديال 2010.
2) محمد شريف بستير ، مونديال ينعش اقتصاد آسيا ، إسلام أون لاين .
3) الاتحاد الدولي لكرة القدم "الفيفا" .
4) وزارة الطاقة والمناجم ، جنوب أفريقيا.

المراجع الأجنبية

5) ABN AMOR Economics Deba - ment. soccer and Emerging Markets". second edition. 2006.
6) Anne Case. Income distribution and Expenditure pattern in South Africa. 1998. P.3.
7) CIA. World Fact book.
8) Communication Project Mana - ment. government of South Africa. 2009
9) IMF/IFS.http://ifs.apdi.net/imf/logon.aspx.
10) Jean – Marc Flatar. " Impact of over whelming joy on consumer deman: The Economic Impact of the world cup victory. 2008.
11) Stefan Bielmeier. Kicking off Economic growth. 2006.
12) Stefan szymabski. " The Economic Impact of the world cup " . world Economic. vol.3. No.1. 2002.
13) Sohns Irons. " Assessing the impact of world cup of soccer on host countries economics. center for American Progress. 2006.
14) South Africa Budget. 2009.
15) South Africa world cup or ganization
16) Statistics South Africa .
17) The Eighth United Nations Survey on crime trends and the operations of criminal justice systems (2002).
18) United Nations " World statistical Pocket book" and " statistical year book".
19) World Bank.
20) World Development indicator database.

FIFA
WORLD CUP

إذا كان الأدب خلقاً ونشأً – مستبعدين مصطلح إبداع لما فيه من إيحاء للخيال ، مقتصرين على المفهوم المادي لمعنى البدء والتكون في الشيء – فإنه محتاج لا محالة إلى حماية و رعاية ، تسند لجهة تتكفّل بضمان هذه المهمة ، وتجيد تحمل المسؤولية ، و أجدر من يقوم بهذه الوظيفة مؤسسة تعي دورها وتمارسه ، لا أن تحتكر الاسم والموقع ، وقد راعينا في هذا الصدد التطرق إلى المؤسسة الأدبية ، فماذا نقصد بها ؟.

أ.د. عبد السلام فزازي

مفهوم المؤسسة الأدبية وشروطها

لنتطرق في البداية إلى تحديد مفهوم المؤسسة الأدبية، عند بعض الدارسين، فكل واحد منهم يبني تصوره لها ويقدم تعريفاً خاصاً، ولأن الأدب كان ولا يزال عبر العصور، موضوعاً يلقى اهتماماً ودعماً وأحياناً أخرى يواجه بالصد والإهمال، تبقى نظرة المجتمعات إليه تختلف وتتمايز حسب درجة وعيها بالظاهرة. يرى كليمون موازان (Clement Moisan) أن موضوع الأدب ليس فقط النظر في الوجه الأدبي، بل أيضاً في الوجه المؤسساتي فيه[1].

يقتضي تناول موضوع الأدب النظر إليه باعتباره مؤسسة مثل باقي المؤسسات، يشتغل وينتج في

إطارها، وفي هذا الصدد يقول سعيد يقطين :«لا أدب يمكن أن يبدع في غياب أوتغييب تصور ما للأدب السابق أوالمؤسسات الأدبية»[2] ؛ ويفترض في هذه المؤسسة أن تشمل «مجموعة ممارسات أدبية مقننة رمزية(Symboliques) ومنظمة من قبل أجهزة(Appareils)لا تنتج بل تنظم وتشرع، يتعلق الأمر بمجموعة من آليات تنظيمية تعطي لنفسها قواعد ومعايير خاصة للاشتغال ولها القدرة على الاعتراف للإنتاجات الأدبية أوعدم الاعتراف لها بالمصداقية والشرعية[3].

والمؤسسة الأدبية هي جهاز تنظيمي يسهر على جعل الأدب يخضع للتقعيد والتنظيم مثل الجامعة، والأكاديمية، والرقابة، والجوائز الأدبية. وفي هذا تدعيم وتشجيع تسهر هذه المؤسسات على تحقيقهما ومسايرتهما للأدب وأهله.

ويتبين من خلال هذه التصورات المقدمة لمفهوم الأدب وعلاقته بالمؤسسة، أنها تصورات تنظيرية ترمي إلى خلق مؤسسة للأدب، وبهذا ننتهي إلى تعريف ننطلق منه ونقدم تصوراً لمفهوم المؤسسة الأدبية، وهي في نظرنا مجموعة من المؤسسات الصغرى التي تندمج فيما بينها لتعطينا، المؤسسة الأدبية ؛ التي تتكون من الطباعة والنشر، والتوزيع، والوسائط السمعية البصرية، والمكتوبة من جرائد ومجلات نقد جامعي، والجمعيات الثقافية، وكذلك الانترنيت استشرافاً منا له ببحث مستقل.

القسم الأول : مفهوم المؤسسة الأدبية :

نتناول في هذا القسم عناصر المؤسسة الأدبية : الطباعة، والنشر والتوزيع والوسائط السمعية البصرية، والمكتوبة من جرائد ومجلات ونقد جامعي، والجمعيات الثقافية، والانترنيت، فما هي هذه العناصر ؟

ا) الطباعة

تعتبر الطباعة عملية أولى لولادة العمل الأدبي، بحيث تضطلع بنسخ المطبوعات الأدبية وتوفير المتن الأدبي على شكل كتاب،وبذلك تكون جزءاً رئيساً من تشكل المؤسسة الأدبية.

ويتحدد دور الطباعة الهام في كونها «تؤكد(...) على عملية الطبع»[4]، ولم تكن لتعرف هذا المستوى من الإجرائية لولا ظروف تاريخية أجملها نيوتن(Newton) في اختراع الطباعة والنشر وتطورهما جزءاً من تطور السوق العامة للبرجوازية الحرة «[5]، وينضاف إلى ذلك، استقلاليتها عن النشر، رغم ما قد يبدوللوهلة الأولى أنهما متداخلان، غير أن ذلك حاصل لأمرين : إما بهدف تنسيقي بينهما، أولخلط مفهومي لتاريخهما.

عملية التوزيع تعني وضع المطبوعات للتداول وبيعها بواسطة المكتبات أو الباعة

وفي هذا التحديد يقول أوكتافيوباث(Octavio Path) :«منذ ظهور الطباعة والعلاقة بين المؤلف والناشر مضطربة»[6]، يتضح من قول أوكتافيو: إن الطباعة مرحلة سابقة، من جهة على النشر، ومن جهة أخرى مستقلة استقلالاً تاماً عنه.

نستنتج إذن، أن النشر مرحلة لاحقة ودورها لا يقل أهمية عن مرحلة الطباعة، وأن اضطراب العلاقة بين المؤلف والناشر كدليل على أن الطباعة مستقلة عن النشر، وفي رأينا أنّ الطباعة متعلقة بطبع العمل الأدبي، أي نسخه، والنشر مرحلة تأتي بعد ذلك «فأهل المطابع الأقوياء – نظراً للتعقيدات المتزايدة لصناعتهم – سرعان ما يتخلون للاختصاصيين بأمر بيع مصنوعهم بالتقسيط»[7]، من خلال هذا النوع

من التخصص يتبين أنه يمكن أن نضع النشر مقابل التوزيع لا الطباعة مقابل النشر.

من هنا، نجد أن الطباعة مرحلة هامة وعملية معقدة وحاسمة في إخراج العمل الأدبي بالشكل المتعارف عليه، والذي تتحدد فيه أولى ملامح المؤسسة الأدبية، لتجسد لدينا المفهوم والتصور النظري.

٢) النشر

إلى جانب الطباعة التي كانت المظهر الأول لتحديد مفهوم المؤسسة الأدبية، نجد النشر، باعتباره مظهراً آخر من مظاهر تشكلها، يمثل لنا مرحلة نعتبرها بداية العمل النقدي في الترويج للعمل الأدبي. وفي هذا الصدد يقول روبير إسكاربيت(Robert Escarpit) «بالنسبة للناشر : إن للنقد قيمة موضوعية لرأي أدبي ،والناطق باسمه»[8].

نلاحظ هنا أن وظيفة الناشر تتجاوز العمل الإداري، لتمثل لنا العمل الإداري في احتياجه لهذه الرؤية ؛ فالعملية النقدية التي يجريها الناشر على العمل الأدبي قبل الإقدام على نشره، يستشرف من خلالها ما بعد عمليته الآنية، وإن كان الهدف تجارياً، فهويراعي في ذلك طرفاً فاعلاً في العملية الأدبية(المتلقي)، حيث إن «الحصول على عينة من الجمهور النظري من خلاله يقنن اختياراته»[9] أمر في غاية الأهمية.

وهكذا، نجد الناشر يحسم في تأديته لدوره على أكمل وجه، فمجرد نقد العمل الأدبي قبل النشر، يعتبر ترويجاً له، وقبل ذلك اعترافاً بوجود هذا العمل، وبالإضافة إلى ذلك يمثل خلق متلق نظري عملية نقدية ثانية، وفي إطار العمليتين خدمة جلية للعمل الأدبي، وبمفهوم آخر، تحقق عملية النشر شكل المؤسسة الأدبية كما في تصورنا النظري.

٣) التوزيع

يمثل مفهوم التوزيع داخل المؤسسة الأدبية باعتباره جسراً يصل بين المنتج والمتلقي، ويرى إسكاربيت أن «عملية التوزيع بالمعنى الحقيقي والعام للكلمة ،والبيع رغم وجود كتب موزعة مجاناً لأن البيع في الواقع ،وتقريباً ضروري لكي يكون العمل الأدبي مكتملا» [10]، تحمل هاته القولة في طياتها مفتاحاً بالنسبة إلى ترويج العمل الأدبي، فجملة «عملية التوزيع «نستشف منها الترابط الوثيق بين العمليتين، وأن إحداهما تستلزم الأخرى.

فدلالة «التوزيع» تعني وضع المطبوعات للتداول وبيعها بواسطة المكتبات أوالباعة، بحيث يتبين أن «التوزيع التجاري للقراءات الأدبية بكمية وفيرة بالأساس مؤمّنة من طرف موزعي الكتب والمؤسسات من نوع دكاكين وأكشاك الجرائد»[11].

وتتضح أهمية التوزيع في تفعيل العمل الأدبي وحركيته، نظراً لأنها مرحلة هامة في منظومة المؤسسة الأدبية إذ نرى «التوزيع في الدول الرأسمالية العملية أكثر صعوبة في عملية النشر»[12]، مما يُذكَر أن عملية التوزيع تمثل ركيزة أساسية لعقد النشر في الدول

الرأسمالية، اعترافاً منها وإيماناً بجسامة مهمة التوزيع.

التوزيع إذن، عملية دقيقة، تستمد منها المؤسسة الأدبية شكلاً ينضاف إلى الأشكال السابقة ؛ ولكونها كذلك، فهي تستحق العناية لأنها الحلقة الوسطى بين الثبات والتحول، بين آلاف النسخ وهي متراكمة، وبين مئات النسخ وهي تبحث لها عن قنوات تصريف، من بين القنوات التي تتوسط للعمل الأدبي وسائط تعرض لعناوين الأعمال الأدبية، وتقيم لقاءات وعروضاً وندوات تقدم فيها قراءات نقدية جديدة تخلق لنفسها وللعمل الأدبي حلقة ضمن حلقات سابقة.

٤) الوسائط

إن محاولتنا رصد مختلف العناصر التي تدخل في علاقة مباشرة مع المؤسسة الأدبية، جعلتنا نقف على أبرز عنصر متكامل، في الاسم المشاع عنه،الإعلام السمعي البصري، وسنعتمد في تعبيرنا الأدبي صيغة الوسائط لما لها من معنى علمي.

أضحت الوسائط السمعية البصرية اليوم، تلعب دوراً خيراً لا يقل أهمية عن باقي الوسائط المعتمدة للتعريف بالعمل الأدبي ف «منذ ظهورها في مجتمعنا الحديث أسهمت مساهمات جلية في تطوير الأدب وتوسيع دائرة قرائه»[13]، ونجد الرأي نفسه لدى سعيد يقطين وارداً عند إسكاربيت إذ يقول :«منذ ظهور وسائل الاتصال السمعية البصرية، تغيرت وضعية القراءة شيئا ما، لتصبح في الإجمال، استهلاكاً ثقافياً في حركية داخلية ما زالت غير معروفة، فالاقتباسات السينمائية والاتصالات اللاسلكية وخصوصاً التلفزية أثرت بعمق على الرؤية الأدبية»[14].

وظهورها كان دوراً مساهماً ومؤثراً في العمل الأدبي، بالإضافة إلى ذلك نشر ثقافة القراءة وتوسيعها، وتطويرها للعمل الأدبي يتجلى كذلك في إخضاعه لأشكال من الاستعمال الآني، في عصر تطبعه العولمة ف»بفضل(...) وسائل الإعلام، أصبحت الأعمال الأدبية في متناول الجميع : سواء أكانت على شكل كتاب الجيب، أوالأشرطة، أوأشرطة الفيديو، أوالاقتباسات السينمائية[15].

أضحت الوسائط السمعية البصرية اليوم عنصراً هاماً، تتجسد أهميتها في اتصالها بالجمهور والاحتكاك

وفي هذا التأقلم مع متطلبات العصر، تبرز مراعاة حفظ العمل الأدبي، وضمان ترويجه إلى أبعد الحدود بأشكال متطورة، آخذة بعين الاعتبار المحطات التاريخية والتواصل المؤطر ضمنها. يقول كليمون موازان :»تساهم وسائل الإعلام أكثر مما نظن في إعادة الاعتبار لضرورة التاريخ بشكله الشفهي»[16]،وفي هذا التصريح المعلن عنه، نشير إلى نقطة هامة، فإذا كان المؤلف قديماً يلقي ما ألفه شفوياً على المتلقي، ليدون من بعد، وتتسع المسافة بينهما، فإن هذا العصر أصبح الإلقاء من جديد شفوياً عن طريق الوسائط السمعية البصرية.

٤ – ا الوسائط السمعية البصرية

لقد صارت الوسائط السمعية البصرية اليوم عنصراً هاماً، تتجسد أهميتها في اتصالها بالجمهور والاحتكاك به يومياً، وفي هذا الإطار كان لا بد من إسهامها في توفير، ولولوقت قليل من برامجها، العناية بالعمل الأدبي ونلحظ أن «الإعلام بمختلف أنواعه(...) يساهم في التعريف بمختلف الإنجازات الأدبية من الكتاب إلى مجموع الاهتمامات والقضايا التي تشغل بال

المشتغلين والقراء»[17].

ويتجلى إسهام هذه الوسائط من خلال إيصالها للعمل الأدبي إلى عامة الجمهور. وما كان لهذا التواصل أن يتحقق لولا «أن التليفزيون خرج بالأدب من دائرته الأرستقراطية القديمة وجعله أدباً ديمقراطياً،يتصل بقوائم الشعب كله وحطم الأبراج العاجية في التذوق»[18].

وهكذا، فالوسائط السمعية البصرية ذات وظيفة تغييرية. فالوسيط السمعي البصري لا يجب أن يكون سوى صلة لمعرفة أفضل للثقافة المكتبية، ويكون كذلك من خلال إنتاجه الخاص وحتى خارج «البث الثقافي» أن يصبح مبدعاً وعاكساً للثقافة الجديدة والحقيقة للجماهير [19] وتتأكد لنا هذه الوظيفة، إذ « لم يعد التليفزيون اليوم في خدمة الثقافة نوعاً من أنواع الرفاهية بل أصبح له دور في معالجة كثير من مشكلات الثقافة»[20].

وهذا النهج المتوالي لهذه الوسائط، في اتخاذها جملة من التغيرات مرة بعد مرة، يهيئ لتشابك وطيد تنصهر فيه الوسائط السمعية البصرية والمؤسسة الأدبية في الوظائف والأدوار، ومن ثم الانخراط في مشاكل الأدب الحقيقة، وقد يتحقق هذا الوعي إذا كانت «البرامج الثقافية في التليفزيون تهدف إلى تحسين حال المشاهد وتنبع في الواقع من أعمق تقاليد العلم والتوعية والثقافة»[21].

ولن يظل الاهتمام السمعي البصري محكوماً بثوابت المخططات السابقة وما قبل الوجود الفعلي لهذه الوسائل المشتغلة على المستوى الرسمي والشعبي إذ «لم تعد الثقافة في البرامج الثقافية ترتبط بالتقاليد التي كانت قبل ظهور التلفزيون مقتصرة على المحظوظين ممن كانوا يعيشون بالقرب من مراكز هذه الثقافات، ومن كانت أحوالهم الاقتصادية تسمح لهم بممارسة هذه الأنشطة»[22].

إن شيوع الثقافة بين مختلف شرائح الجمهور، وتوسيع دائرة المستفيدين من الوسائط السمعية البصرية المناولة للأعمال الأدبية، أزالت الحواجز الزمنية وقبلها الطبقية بحيث أضحت «هذه البرامج لا تمنح إجازات دراسية أوشهادات إلا أن ما تقدمه من جهود تساعد على نشر الثقافة لا يمكن أن تقاس أوتقدر بثمن أوجهد [23].في خدمة الأدب وتطويره لم تغفل الكاتب باعتباره طرفاً هاماً في العملية ككل. بل إننا نجد من هذه الوسائط، وبالأخص التليفزيون، «حالياً ليست(..) بالنسبة إلى الكاتب مجرد وسيلة للتعبير وإنما هي كذلك مورد رزق»[24].

نستنتج أن هذه الوسائط في علاقتها بالعمل الأدبي، لم تهمل أي طرف في العملية الأدبية، الأدب والكاتب والمتلقي، مدركة أن غياب قطب واحد منه،إهدار لحقوق القطبين الآخرين ، وفي

تحديد دور الوسائط السمعية البصرية، وطبيعة تفعيلها للعمل الأدبي، يظهر لنا بجلاء أن تضافر الجهود ضروري وأساسي في دعم الأدب، وتكوين المتلقي، ومساندة الكاتب ومؤازرته، ورغم ذلك ستظل هذه الوسائط السمعية البصرية مجرد تقديم جاهز لكل ما هوأدبي، لتأتي الوسائط المكتوبة، لتجعل المتلقي مشاركاً في العمل الأدبي، من خلال احتكاكه المباشر وسجاله الفكري، لأن الميدان السمعي البصري ضيق الزمن، بينما الوسائط المكتوبة تسمح بالقراءة المتعددة والمتفحصة، ولكي يفهم العمل الأدبي جيداً ويستوعب يجب أن يقرأ، مما يساعد على تمثله على أفضل نحوممكن.

٤ – ٢ الوسائط المكتوبة

نقصد بالوسائط المكتوبة الجرائد والمجلات والنقد الجامعي.

1 – الجرائد :

تساهم الجرائد في تفعيل العمل الأدبي، باعتبارها وسيطاً كتابياً علاقتها بالعمل الأدبي جعلتها معروفة، يقول في هذا الصدد روبير إسكاربيت(Robert Escarpit) :»يجب الأخذ بعين الاعتبار الطبعات ليس فقط عند دور النشر ولكن أيضاً عند الصحافة التي هي عموماً أكثر رواجاً. فيما تبقى الطبعات الأخرى صعبة المنال»[25]. من هنا نلمس قوة الجرائد في دعمها للعمل الأدبي والنشر معاً. كما أن احتكاكها اليومي بالمتلقي، بمختلف شرائحه جعلها «تقوم(...) بالتعريف بالكتب المنشورة حديثاً والمجلات بدورها تجعل المواضيع الأدبية الهامة في متناول الجمهور»[26].

وهذا الشيوع الفريد لهذا الوسيط، لم يكن محض صدفة بل نتيجة تنويعها لمادتها بأنواع الموضوعات، فيكون فيها للعمل الأدبي حظ ؛ مما يجعل الجمهور المتلقي مقبلاً عليها، حيث «توجد في الصحافة مثلها في النشر مجموعة كبيرة من النصوص غايتها وظيفية غالباً ما يحصل في التحقيقات وفي نقد الكتب، وسيكون من السهل الإشارة إلى عدد من الأعمال التقنية، أوالعلمية أوالفلسفية بمقاصدها المعلنة، والتي تشكل أعمالاً أدبية أصيلة وتناولها الجمهور باعتبارها كذلك»[27].

إن هذا الاهتمام الجاد الذي يتحول بعمل هذا الوسيط المكتوب من غايته الوظيفية إلى استعمال غير

وظيفي، ليفسح المجال للعمل الأدبي عن طريق الريبورتاجات(Reportages)، ونقد الكتب الأدبية ليمتد نطاقه إلى نوع من العمل الأدبي يقول عنه فاروق خورشيد: ليس هناك في الواقع لون من ألوان الإنتاج الأدبي تقبل عليه الصحافة وتتهافت على نشره مثل القصة القصيرة[28] تسوقنا عبارة خورشيد عن القصة، في تصريحه بأن العلاقة بينها وبين الجريدة علاقة دَيْن(بفتح الـدّال وتسـكين الـيـاء)، تـديـن فيـها القصة للجريدة، بماذا ؟ أيقصد الانتشار والـرواج ؟ ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هولماذا تتهافت الجريدة على نشر هذا اللون من ألوان الإنتاج الأدبي ؟ ونجد الجواب متضمناً في قوله :«كما تطورت الصحافة وازدادت توزيعاً وحجماً (يقصد عدد الصفحات) زاد مقدار ما تفسحه في صفحاتها للقصة، وزاد بالتالي الإقبال من الكتاب على كتابة هذا اللون الرائع السريع التـداول السهل النشر»[29] لتصبح العلاقة، تبادلية : إفادة واستفادة من جهة، ومن جهة أخرى دعماً للعمل الأدبي وتشجيعاً له.

ومما تقدم، يبدوجلياً أن طريقة تعامل الجريدة عموماً مع العمل الأدبي، ينم عن وعي منهجي واستثمار ذكي لهذا اللون من ألـوان الإنتـاج الأدبـي، عـن طـريـق إعـطـائـه صفحات يـزداد حجمها كلما ازداد توزيع الجريدة وتطورها، وفي ظل هذه العلاقة يمكن القول، إنه كلما ازدادت أعـداد الصفحات في الجرائد ازدادت كذلك الصفحات المخصصة للعمل الأدبي.

٢ - المجلات

ينضـاف إلى الجـريـدة وسـيـط كتـابـي آخـر، هوالمـجـلات الـتـي تـسـاهـم بـدورهـا في تشكل المؤسسات الأدبيـة، حيث تعتبر المجلة عملاً صحافياً تختلف عن الجـريـدة في كونها غير منتظمة، تصدر شهرياً أوسنوياً، وأحياناً تغيب لأنهـا «أبـعـد الأشـيـاء عـن الصحافة بمعناها المتعارف عليه، رغم لجوئها لوسائل الصحافة في الظهور إلى الناس»[30]، لأننـا نجـد هـذا التشابه الشكلي يخلق خلطاً وظيفياً فـ «إذاً كنا نظلم الصحافة في الظهور حين نطلب منها الأبحاث المتخصصة التي لا تهم سوى مجموعة من الناس، فإننا نظلم المجلة الأدبية حين نطلب منها غير هذه الأبحاث المتخصصة»[31].

ولن يبخس حق المجلة الأدبية لأنها واعية بالدور المنوط بها، تسعى جاهدة للانخراط في العمل الأدبي بممارسة تصل إلى حد أنه «تعود وظيفة المجلات إلى الدور الترويجي للنصوص والمؤلفين خـارج الحـدود اللغوية والثقافية[32]، ولتجسد إسهامها القوي تقوم بعض المجلات المتخصصة ب «تـبـادلات» أدبيـة مهمة سواء بنشر منتظم لوقائع تاريخية حول «الآداب الأجنبية» أوبشكل مباشر عبر ترجمة النصوص» [33].

ولكي تبلغ شـأواً في هـذا الجهد المضاعف « مطلوب من المجلة الأدبية أن تنافس عـلـى قـدم المـسـاواة المجـلات الأخرى التي تصدر معها في نفـس وبنفـس الحجم وبنفس الثـمـن» [34] ؛ يقصد بذلك تنـبـيـه المجـلـة الأدبية لمسائل هـــامـــة، قـد تعتبر خارجة عن إطار العمل الأدبـــي المـحـتـوي المجلة ولكنها أمر فاعل في تصورنا لمفهوم المؤسسة

الأدبية.

ولتتأكد لنا جدية مساءلة المجلة الأدبية لنفسها، نجدها تهيئ أعدادها لـ «استقبال الأصوات الجديدة وتقديمها. فالأديب المنكود الحظ في كلتا الحالتين : النشر المتأخر أوعدمه، لا يجد بداً من دفع نتاجه إلى المجلات الأدبية المحلية، فهي تؤمن له رواجاً أوليّاً ملحوظاً ما يلبث أن يندفع لتأسيس اسمه الأدبي»[35]. كما تعمل على التجديد في محتواها بحيث يعتبر «كل مشروع مجلة ءونوعا ما نتيجة مؤامرة : كمؤامرة جيل من الشباب ضد القدماء، أومؤامرة جمالية ضد أخرى أوقيم طليعية ضد قيم مؤسسة أكاديمية»[36].

نتهي إلى أن استقبال المجلة الأدبية للأصوات الجديدة دليل على حركيتها وتجددها، وفي نشرها للعمل الأدبي تأكيد بأن المؤسسة الأدبية سلسلة حلقات، فقد حلقة واحدة منها يخل بالنظام والتصور معاً.

٤ – ٢ – ٣ النقد الجامعي

لا يمكننا الحديث عن مفهوم المؤسسة الأدبية دون الإشارة إلى النقد الجامعي، الذي يكون «الأدب» بالنسبة إليه موضوعا للبحث والدراسة، و«النقد» وسيلته في المنهج والتحليل.

ويقدم هذا النقد إسهامات كبيرة في مجال دراسة العمل الأدبي، سواء منه النقد التقليدي الذي يدرس علاقة الإنتاج الأدبي بشخصية مبدعيه أوبالوسيط الذي نشأ فيه، أو«النقد الجديد» الذي يهتم بالنص ولا شيء غير النص، وكلا النقدين يروج للعمل الأدبي.

ولأن الجامعة تشتغل على النص، وأداتها النقد، فإنها وسيط من خلاله يتم تحقيق مفهوم المؤسسة الأدبية، وتتجلى وساطتها في إصدار منشورات تتضمن ندوات، ورسائل جامعية. وفي مجمل هذه المجلات تتضمن ما يتصل بكليات الآداب والتخصصات المنضوية تحتها.

٥) الجمعيات الثقافية

كما نجد الجمعيات الثقافية، ترصد للعمل الأدبي برنامجاً خاصاً، وتضفي على عملها الثقافي أنواعاً من الأعمال المسرحية والسينمائية(المقتبسة من النصوص الأدبية) والندوات الفكرية والأدبية، وأحياناً باستضافة المبدعين والنقاد، بالإضافة إلى خلق أنشطة ثقافية مختلفة ؛ تتمثل في التعاقد مع المكتبات، وإقامة معارض للكتب وحفلات توقيع الأعمال الأدبية، وتنظيم الأيام الثقافية باستقطابها للعناصر الجديدة من المبدعين، كما تعنى بإصدار الأعمال الأدبية.

الانترنيت، أصبح بالإمكان عن طريقه التنقل عبر العديد من المواقع المشتملة على التخصصات والمجالات

وننتهي إلى أن الجمعيات الثقافية، تضطلع بدور كبير في تكريس مفهوم المؤسسة الأدبية، بحيث تجعل الشباب المنضوي تحتها يهتم – منذ بداية انخراطه – بالأدب والأدباء.

٦) الإنترنيت

أفرز تطور الإعلاميات ظهور شبكة الانترنيت، التي أصبح بالإمكان عن طريقها التنقل عبر العديد من المواقع المشتملة على مجموعة من التخصصات والمجالات، وكثير من المعارف والعلوم.

وفي ذكرنا لهذا العنصر، وعي منا بأهمية هذا الوسيط المحدث الذي يطرح نفسه بديلاً مفضلاً لتوزيع العمل الأدبي مكوناً بذلك مؤسسة أدبية تشمل كل العناصر التي أسلفنا ذكرها.

القسم الثاني : شروط المؤسسة الأدبية :

نناقش في هذا القسم شروط المؤسسة الأدبية، التي بدونها لا يمكن الحديث عن المؤسسة الأدبية، وهي على التوالي : الشرط الاقتصادي، والشرط السياسي، والشرط الاجتماعي الثقافي.

ا) الشرط الاقتصادي

يعتبر الشرط الاقتصادي من الشروط الرئيسة في مقاربة ظاهرة الترويج للعمل الأدبي. وعموماً يمكن القول : إن للقارئ دوراً أساسياً : فإذا كان دخله اليومي مرتفعاً، فسيكون مشجعاً على اقتنائه للأعمال الأدبية. ولأن القدرة الشرائية تلعب دوراً حاسماً في عملية الشراء ككل، نلحظ بعض دور النشر التي تعمل على تخفيض أثمان الكتب؛ وذلك أمر فيه اهتمام بالقارئ وترويج للعمل الأدبي في نفس الآن. كما أننا نلمس المبادرة نفسها لدى أصحاب المكتبات التي تعلق لافتات لتخفيض الأسعار.

وحين يتحقق الشرط الاقتصادي، باقتناء القارئ لعمل أدبي فإن تلقيه « يفتح أمام منتج النص الأدبي أبواباً أخرى للشهرة والرزق وبالتالي للمزيد من الاستقلال المادي والفكري والفني»[37]، فيستفيد منتج العمل بالمقابل، لأن اقتناء عمل أدبي يضمن للمنتج استمراراً في عمله، ودعماً مادياً يشجعه ليبدع في فضاء أرحب لا تطارده الهواجس المادية، والتوجيهات الخارجية المكلفة بدعمه.

العلاقة بين الأدب والمجتمع، علاقة تتجسد في ضرورة تناول الطرفين معاً

كما نلاحظ أن حسن التلقي هذا ينعكس إيجاباً على المردودية لإنتاج نصوص لاحقة، مما يجعله «يدفع برؤساء تحرير الدوريات التي ينشر فيها منتج النص الأدبي نتاجه إلى استكتابه من جديد، ولربما الإلحاح عليه ليخص دورية ما بهذا النّتاج، باذلين له مكافآت أسخى ورسوماً أغلى ومفسحين له حيزاً أوسع وصفات أكثر في دورياتهم، وميسيرين له حرية أكبر سواء أكان ذلك في مجال التجريب الفني أم في مجال حرية التفكير والتعبير عامة»[38].

ولأن المتلقي «والمعول عليه في استهلاك العمل الأدبي، أفرز لنا ذلك، أسئلة تتمثل في أن العمل الأدبي لم يعد مجرد إبداع تتناوله الأفكار والأخيلة، بل عمل تتداوله الصناعة والتجارة، ويتأكد ذلك» إذا قلنا أن الكتاب «المستعمل» ليس سلعة مادية، فلا نقصد بأي حال أنه لا يدخل ضمن صناعة لها مراميها التداولية التجارية أوأنه مُنتَج معنوي أثيري مجرد لا يرى ولا يلمس»[39]، وفي اعتبار أن الكتاب تواصل ثقافي بين المبدع والقارئ، ولا يلغي المعايير المادية، ولا يمكن استبعاد الأهداف التجارية ؛ لأنه مُنتَج معنوي لا يدخل في الاستعمال المادي بل مجرد الرغبة في الاطلاع عليه والحصول على نسخة منه، سلعة

مادية تمر عبر مؤسسات. وليتأكد ما قلناه، نجد مؤسسات في دعمها للعمل الأدبي، تحقق الشرط الاقتصادي، وتؤكد مفهوم المؤسسة الأدبية حيث «إن التحقق التقني للتاريخ الأدبي يستفيد أيضاً من الوسائل المعلوماتية الحديثة. فبنوك المعطيات البيبليوغرافية تشكل مصدراً للمعلومات لإنجاز مؤلف ما»[40].

ففي مساندة البنوك العمل الأدبي من خلال تهيئها له، بتقديم الوسائل الحديثة، وكونها تختص في المعطيات البيبليوغرافية، فإنها تسهل إنتاج عمل أدبي ما، وتدعمه مادياً مما ينم عن وعي في اتخاذ هذا الإجراء الذي تترجمه مثل هذه السلوكيات الناجحة.

٢) الشرط السياسي

يتمثل هذا الشرط في دعم الدولة للعمل الأدبي، بحيث «إذا كان من المظاهر التي يتبدى فيها رقي الأمم ومدى مساهمتها في إنتاج المعرفة، وكان الكتاب من صميم تلك المعرفة، ومن قنوات توصيلها وحفظها، فإن وضع الكتاب في مشاريع التنمية الثقافية للدول، «والمبرهن على مدى إسهامها أوعدم إسهامها في الدفع بعجلة التنمية الثقافية والمعرفية إلى الأمام»[41].

هكذا يتضح لنا أن رقي الأمم مرتبط بمدى مساهمتها في إنتاج المعرفة. ولأن المعرفة تحفظ في كتاب، كان لا بد إذن من إدخاله في مشاريع التنمية الثقافية للدول لأن «إسهام الدولة في إنتاج الكتاب، وإسهامها في ترويج الكتاب»[42].

وسيظل العمل الأدبي في حاجة إلى مساندة الدولة وتهييئها لج والإبداع، ومن جملة المبادرات التي قد تقوم بها «تحمل مسؤولية التوزيع بواسطة قطاعها العام»، وأن تتكفّل بالتوزيع لا يعني « مسؤولية(...) محصورة في توزيع الكتاب على نقط البيع، بل أيضاً في خلق مراكز جهوية لاحتضان الكتاب حتى تتم الاستفادة منه من غير أن تبقى الاستفادة مقترنة بشرائه بالضرورة»[43].

ولأن أي عمل أدبي هدفه الوصول إلى القارئ، سواء بشرائه أوإعارته، من خلال خلق الدولة لخزانات ثابتة ذوات مقرات معروفة، أوخلق مكتبات متنقلة تقرب العمل الأدبي إلى القارئ، أوإيجاد أشكال متعارف عليها تبقى «مسؤوليات الدولة في تسهيل شروط تداول الكتاب وتوزيعه، إقامتها لمعارض وطنية ودولية وجهوية»، ودعمها للعمل الأدبي المحلي يتجسد ذلك في تعريفها «بالكتاب في دول أخرى من خلال معارض أجنبية وأسابيع ثقافية ومعاهدات تبادل ثقافي». ونخلص إلى أن دعم الدولة للعمل الأدبي شرط لا بد منه، بل إن «توفير أسباب ازدهار الأدب يستلزم إيجاد البنية المادية التحتية الضرورية»[44].

٣) الشرط الاجتماعي الثقافي

لقد سبقت الإشارة في النقطتين السابقتين إلى ضرورة توفر شروط أساسية تدعم العمل الأدبي، وتخلق له الجوالملائم لإنتاج أكثر: شرط اقتصادي يتحكم في رواج العمل الأدبي بالدرجة الأولى، وشرط سياسي تضمن فيه الدولة شروطاً مادية ومعنوية، ونضيف هذا الشرط الذي نتناوله هنا وهوالشرط الاجتماعي الثقافي.

وإذا تأملنا قول أوكتافيوباث :«يمكن أن نستدل على صحة المجتمع من حالة الأدب فيه»[45]، نجده يشتمل على عنصرين اثنين، نستدل بأحدهما على الآخر، فالمجتمع بنية تحتية، إذ دراسة الأدب لا يمكن أن تتم بمعزل عنه وبالتالي فـ«تفسير الظواهر الأدبية المهمة، كنشوء وتطور الأجناس والتيارات الأدبية، لا يكون بإرجاعها إلى أسباب أدبية داخلية فحسب، بل بربطها بالمسببات الاجتماعية التي أحاطت بنشوئها وتطورها»[46].

هكذا إذن تكون العلاقة بين الأدب والمجتمع، علاقة تتجسد في ضرورة تناول الطرفين معاً، ويقول في هذا الصدد عبده عبود : «التطور الأدبي لا يتم بفعل العوامل الأدبية الداخلية وحدها، بل بفعل تفاعل الأدب مع المجتمع وتعبيره عما يجري فيه من تطورات»[47]. إننا لا يمكن أن نتصور حصول التطور في الأدب دون حصوله على صعيد المجتمع والعكس صحيح؛ فالأدب بنية فوقية: دراسته لا يمكن أن تتم بدون مواكبة التطورات أوالمستجدات الحاصلة في المجتمع حيث « إن دور الثقافة(...) كبنية فوقية فاعل في الحياة اليومية، ومرآة صافية للكشف عن تفاعلات البنية التحتية»[48]. إذا أمعنا النظر في هذه العلاقة بين المجتمع والعمل الأدبي، نرى أن «العمل الثقافي بأوسع معاينة وخلق شروط ملائمة، لتنصر في ديناميكية إنتاج ثقافة جماهيرية تمارس حقها في الوجود تنتج فعلها السياسي، أي الانتقال بالثقافة العالمية إلى مستوى الثقافة الشعبية، وصياغة مفاهيم معرفية جديدة مرتبطة بالهم اليومي للمواطنين، وهذا النوع من الممارسة لا بد أن يكون قائماً على النقد الذاتي، نقد كل مظاهر البنية التحتية المعرقلة لتطور البنية الفوقية».

توفير أسباب ازدهار الأدب يستلزم إيجاد البنية المادية التحتية الضرورية

وإذا أردنا أن نحلل هذا القول، فإننا نتوصل لشرطين، تطبيقهما يكفل للعمل الأدبي والمجتمع انسجاماً وانصهاراً تامين ؛ نجد أولاً : الانتقال بالثقافة العالمية إلى مستوى الثقافة الشعبية. ثانياً : صياغة مفاهيم ترتبط بالهم اليومي للمواطنين. ولتحقيق هذين الشرطين، لابد للنقد الذاتي من حضوره بقوة ليخلق لهذه الشروط أرضية صلبة، ولكي ينقد المجتمع ذاته.

إن النهضة في العمل الأدبي لا تتوقف على مدى قراءته بل» في حاجة لسند أساسي هو تحرر العقليات من المفهوم المجاني(مجانية الإبداع). وإذا شئنا نهضة في

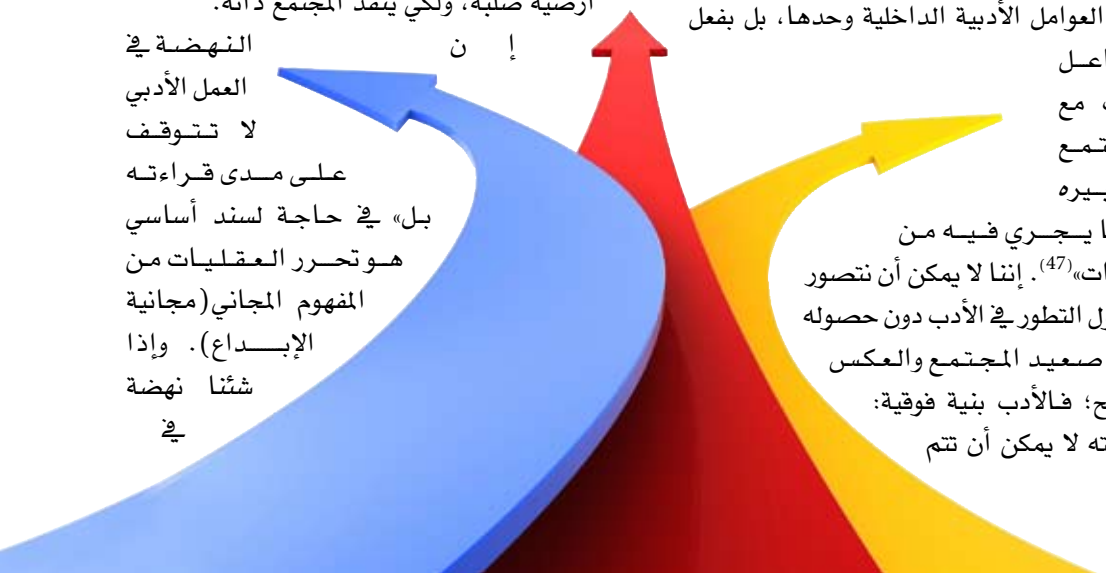

مجال الفكر، فلا بد من نهضة في مجال الكتاب الإبداعي، حتى لا يظل أعزل في العراء تطمره العقليات الضيقة السطحية «لأن العمل الأدبي غايته أن يقرأ فالمتلقي عموماً «قطب مهم وأساسي بل حيوي وفاعل في عملية التوصيل الأدبي «، وفي تلقيه «يخلق الحافز لدى المنتج على التفكير في كتابة نصوص جديدة».

ويظهر دور القارئ في تفعيل العمل الأدبي، من خلال المنتج الذي يعول عليه، فهوحينما «يبث نصاً يقصد به متلقياً ما يتلقاه، ويعجب به ويفيد منه ويعجب من ثم بصاحبه فيتلقى نصوصه الأخرى السابقة والتالية لهذا النص، ويتحول بالتدريج إلى نصير لهذا المنتج»، وهذا الاتصال بين القارئ والمنتج شرط ثقافي لتأسيس العمل الأدبي، ودعم الأول للثاني يتأكد إن هو ظل «يشتري كتبه، أو يحضر محاضرته، أويتتبع أخباره، ويلاحقه بضروب الإطراء والتشجيع والمناصرة والمنافحة عندما يحاول خصومه أومنافسوه النيل منه أومن نصوصه».

ويتبين لنا أن حدود تدعيم القارئ للمنتج ولعمله الأدبي يظهر في

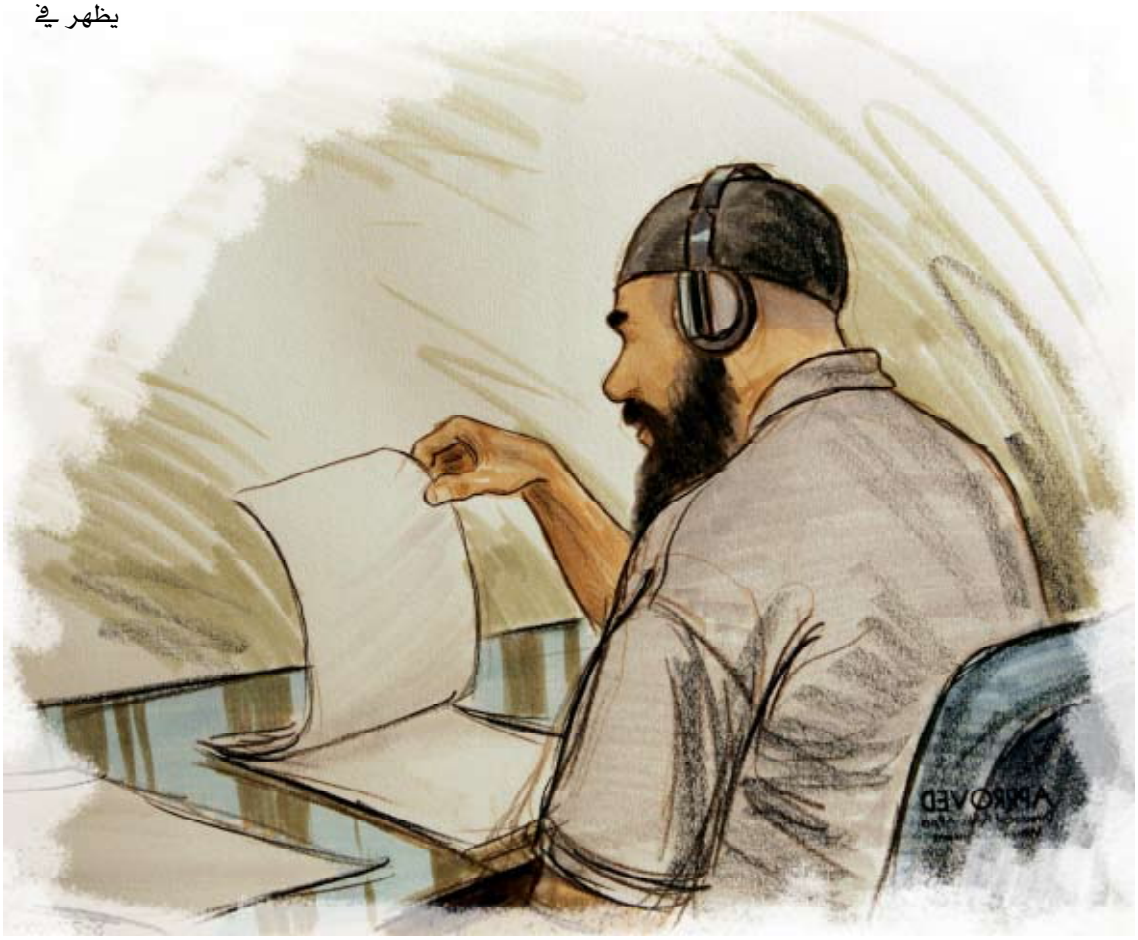

أشكال متعددة منها : اقتناء عمله،وتتبع أخباره.

وتشجيعه في الشدة. كما يمكن أن يتجسد دور القارئ في شكل آخر أكثر أهمية، حيث نجده «يؤثر في ناشره بشكل مباشر فيجعله يقدم شروطاً أفضل للنشر، ويقدم عوائد أسخى »، وحسن تلقيه يتمثل في أنه «يدفع الناشر إلى تحسين معاملته مع المنتج وربما تحسين شروط النشر وزيادة فرصه أمامه»، عن طريق إغراء القارئ للناشر بإصدار طبعات جديدة.

ومن نتائج حسن التلقي أنه «يدفع المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية، والأدبية القائمة إلى إعادة النظر في كثير من مسلماتها وقيمها ومقاييسها، وأعرافها، وقواعدها».

فهذا التحفيز من القارئ عبر حسن تلقيه، يخلق للعمل الأدبي فضاءات تستقبله وتعيد النظر في تعاملها الضيق له.

كما أنّه قد «يغري مخرجاً أومنتجاً بالتفكير في تحويل النص المنتج إلى مسلسل إذاعي أوتلفزيوني، أوفيلم سينمائي» ويمكننا أن نقول في هذا الصدد، إن دور المتلقي شرط ثقافي محض يتجلى في حشده لكل هذه المحفزات والظروف المشجعة على استجلاب الدعم للعمل الأدبي ليتسنم المكانة اللائقة به، وبكلمة واحدة :«إن هذا المتلقي هو طريق المنتج إلى محراب البقاء».

الخلاصة

المؤسسة الأدبية عبارة عن بنية تتمثل عناصرها في مجموعة من المؤسسات الصغرى، المترابطة فيما بينها، وهي الطباعة والنشر والتوزيع والوسائط السمعية البصرية.

والمكتوبة من جرائد ومجلات، ونقد جامعي، وجمعيات للعمل الأدبي مسيراً في منظومة العملية الأدبية: الأديب والعمل الأدبي والمتلقي، إلا إذا توافرت بنية تحتية تمر منها العملية الإبداعية بكاملها؛ بوسائط تحشد من التدابير والإجراءات مما يدعم العمل الأدبي ماديّاً ومعنويّاً وشروط اقتصادية وسياسية واجتماعية ثقافية تكفل له الاستمرارية والدوام.

المصادر العربية

1) أبـو العـزم، عبدالغني : الثقافة والمجتمع المدني، المتقي برنتر، المحمدية، المغرب، 1996م.
2) أصطيف، عبدالغني : النصّ الأدبي والمتلقي، علامات في النقد، الجزء الحادي والعشرون، المجلد السادس، النادي الأدبي الثقافي، جدة، سبتمبر 1996م.
3) باث، أوكتافيو : «مقالة عن الأدب والنشر اليوم»، ترجمة علي القاسمي، العلم، الرباط، المغرب، 21 نوفمبر 1998م.
4) بـــرادة، محـمـد(مـترجـم) : انـظـر الخـطـيـبـي، عبدالكبير(أدناه).
5) جاد، سمير، البرامج التلفزيونية والإعلام الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م.
6) الخطيبي، عبدالكريم : في الكتابة والتجربة(ترجمة محمد برادة)، دار العودة، بيروت، لبنان، 1980م.
7) خورشيد، فاروق : بين الأدب والصحافة، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1980م.
8) العاكوب، عيسى(مترجم) : انظر نيوتن(أدناه).
9) عبود، عبده : « الأدب المقارن والاتجاهات النقدية الحديثة» عـالم الفكر، العـدد الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1999م .
10) فرحات، أحمد : أصوات ثقافية من المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984م.
11) الـقـاسـمـي، عـلـي(مـترجـم) : انـظـر بـات، واكتافيو،(أعلاه).
12) كـايـرول، رولان : الصحافة المكتوبة والسمعية البـصـريـة، تـرجـمـة مرشلي محـمـد، ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
13) محمد، وشلي(مترجم) : انظر كايرول، رولان(أعلاه).
14) نيوتن، ك. م. : «نظرية الأدب في القرن العشرين»، ترجمة عيسى علي العاكوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، 1996م.
15) بيجاري، رشيد : «الكتاب المستعمل»، قرطاس، العدد الرابع عشر، دار قرطاس للنشر، الكويت، مارس 1997م.
16) « توزيع الكتاب : من الخطاب التقني إلى الخطاب الثقافي «، قرطاس، العدد الخامس عشر، دار قرطاس للنشر، الكويت، أبريل، 1997م.
17) «الكتاب الإبداعي في عراء التلقي»، قرطاس، دار قرطاس للنشر، الكويت، نوفمبر، 1997م.
18) يقطين، سعيد : الأدب والمؤسسة : محو ممارسة أدبية جديدة، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، 2000م.

المراجع الأجنبية

19) Escarpit. Rpbert : Sociologie de la Litterature. PUF. Paris. 7ed. 1986 : ‹› Le Litterature et 19 Social ‹› In Lelatterature et lesocial. Paris. 1970.
20) Leenhardt. Jocaues : ‹› Soaiol - gie de la littrature››. Association CURSUS. 2000-2001. www.ARE - CURSUS.com.
21) Moissan. Clement : L›histoire Litterature. PUF. Paris. 1990.
22) Olivier. Corpet : «Revues Li - terairs» Association. CURUS. 2000-2001. www.AREFCURUS.com.
23) Rothisberger. E. « La Statistique International desoeuvres Litterairs» in la Litterature et lesocial. Flamm - rion. Paris. 1970.
24) Viatte. Auguste : Histoire Co - paree des literatures Froncopones. Fernand Nathan. Paris III. 1980.

الأدب العربي
Literature

أقيم في شهر مارس الماضي حفل تكريم الفائزين في الدورة الخامسة ٢٠٠٩م لجائزة يوسف بن أحمد كانو وذلك بفندق الريتزكارلتون، بحضور معالي وزير الديوان الملكي الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة.

وبهذه المناسبة قال رئيس مجلس أمناء جائزة يوسف بن أحمد كانو الأستاذ عبد العزيز جاسم كانو خلال كلمة ألقاها: إن عائلة كانو تسعى للمساهمة في التنمية العالمية والثقافية الشاملة في مملكة البحرين وذلك إنطلاقاً من إيمان هذه العائلة بأن العلم والإبداع هما نبراس طريق النهضة والتطور.

أ.مبارك العطوي

تكريم الفائزين بالجائزة للدورة الخامسة (٢٠٠٩م)..

من جانبه أعرب وزير الديوان الملكي الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة عن شكره وتقديره لشركة يوسف بن أحمد كانو لتخصيصها هذه الجائزة وقال: إنها تأتي دعماً للبحث العلمي وتشجيعاً لأبناء الأمة العربية من المفكرين والأدباء والمبدعين في مختلف المجالات الثقافية والأدبية والدراسات الإسلامية لإثراء حركة الأدب والفكر العربي، مشيراً إلى أن هذه الجائزة تأتي تأكيداً للدور الذي تنهض به شركة يوسف بن أحمد كانو في مجال الخدمة الإنسانية إلى جانب دورها الريادي والمشهود في إقامة المشروعات الخيرية والإنسانية ومساهماتها الواضحة في

خدمة المجتمع وتقدمه.

وقد قام معالي وزير الديوان الملكي بتوزيع الجوائز والشهادات على الفائزين في المسابقة وهم: د.سامح عبد السلام محمد عبد العال الفائز بجائزة الثقافة الإسلامية ود.فوزي سعد محمد عيسى، ود.نجم عبدالله كاظم الدايني الفائزين بالجائزة مناصفة في مجال الأدب العربي.

حيث أعرب الفائز بجائزة الثقافة الإسلامية الدكتور سامح عبدالسلام عن تشرفه بزيارة مملكة البحرين، وقال في كلمته : ‹‹كنت متابعاً باهتمام مشروع قانون أحكام الأسرة في مملكة البحرين، وهو بحق بمثابة تنقيح وتجميع أرجح أقوال أهل العلم من المذاهب الفقهية المختلفة، وقد دون بتوافق بين علماء البحرين الأجلاء لذلك فهو نموذج معبر عن الرؤيا الإسلامية الشاملة››.

وتحدث عن البحث الذي تقدم به بعنوان (نظام الأسرة بين حضارتين) مشيراً إلى أنها دراسة مقارنة في فقه الأحوال الشخصية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية الغربية.بدورهما عبر الفائزان د.فوزي سعد و د.نجم الدايني عن شكرهما للقائمين على الجائزة،وعبر فوزيسعد عن كلماته بأبيات شعرية. وقد تم حجب جائزة المال والاقتصاد والأعمال بناء على قرارات المحكمين وعلى ما عرضته لجنة التنسيق والاختيار لعدم ارتقاء الأعمال لمستوى الجائزة.

د. سامح عبدالسلام عبدالعال
(الفائز بجائزة الثقافة الإسلامية)

د.نجم عبدالله الدايني
(الفائز بجائزة مجال الأدب)

د.فوزي سعد محمد عيسى
(الفائز بجائزة مجال الأدب)

رئيس مجلس أمناء جائزة يوسف بن أحمد كانو الأستاذ عبد العزيز جاسم كانو والوجيه مبارك جاسم كانو نائب رئيس المجموعة يتوسطا الفائزين بالجائزة في لقطة تذكارية

صدور العدد الثاني لمجلة كانو الثقافية..

قام رئيس المكتب التنفيذي رئيس تحرير مجلة كانو الثقافية د. سعيد بن عطية أبوعالي بإهداء العدد الثاني من المجلة لسعادة رئيس مجلس الأمناء حيث عبر عن سعادته بما احتواه العدد من موضوعات علمية وأدبية هامة وبعض المشاركات لعدد من الأدباء والمفكرين العرب المتعاونين مع المجلة كما اعتمد سعادته خطة التوزيع وأثنى على الجهود المميزة للقائمين على إعداد المجلة وتحريرها وكافة المساهمين من الأخوة العرب من الأدباء والكتاب الشعراء وأكد على ضرورة المحافظة على هذه النوعية من الموضوعات والتي تهتم بالقضايا العربية والعالمية في مختلف المجالات.

طباعة كتاب للأستاذ الدكتور أحمد عبد الله ثابت من جامعة غزة بدولة فلسطين..

وافق مجلس الأمناء على طباعة كتاب «السرطان والتغذية» للدكتور أحمد ثابت أحد الفائزين بجائزة كانو للدورة الرابعة بناءاً على توصية لجنة التنسيق والاختيار وكذلك للأهمية العلمية لهذا الكتاب وكونه واحد من الكتب والمؤلفات المتقدمة والهامة والمتخصصة في هذا المجال ومن المتوقع صدوره في شهر أكتوبر2010م حيث سيتم الأعداد لتدشينه والإعلان عن توزيعه.

ويأتي هذا المشروع «طباعة الكتاب» ضمن الأهداف التي اعتمدها مجلس الأمناء للتعريف بالجهود العلمية للجائزة والرعاية والاهتمام بأهم المؤلفات العلمية والعالمية للأدباء والعلماء العرب.

رئيس المجلس يدشن المقر الجديد..

احتفل مجلس الأمناء بالانتقال للمقر الجديد للجائزة وذلك خلال شهر مارس الماضي حيث قام رئيس المجلس الأستاذ عبد العزيز جاسم كانو بزيارة للمقر وعقد خلالها اجتماع للمجلس للاطلاع على آخر الترتيبات الخاصة بحفل تكريم الفائزين بالجائزة للدورة الخامسة حيث أطمئن على الاستعدادات والبرنامج المعد للاحتفال.

كما أعرب عن سعادته لهذه النقلة الهامة للجائزة وتوفر المرافق اللازمة للنهوض بأعمالها وبرامجها المختلفة حيث يحتوي المقر الجديد على قاعة للمكتبة وقاعة اجتماعات للمجلس ومكاتب إدارية ومخزن خاص للمطبوعات والكتيبات حيث تم تجهيز المقر بنوعية أنيقة من الأثاث المكتبي والتجهيزات الأخرى.

وقد اثنى سعادة رئيس المجلس في ختام الزيارة عن شكره وتقديره للمسئولين على إعداد وتجهيز المقر الجديد وإظهاره بهذه الصورة الجميلة اللائقة.

المكتب التنفيذي يشرف على خطة توزيع الكتب والإصدارات للجائزة..

قام المكتب التنفيذي بمتابعة خطة التوزيع للإصدارات الخاصة بالجائزة واعتماد الجهات والهيئات العلمية والأدبية وكبار المسئولين بالقطاعين العام والخاص والمهتمين بالشان الثقافي والمشاركين بمسابقات الجائزة من العلماء والمفكرين العرب، حيث شملت الخطة توزيع الكتب التالية:

- «عائلة كانو.. بين البناء والانتماء»
- «الهروب إلى النجاح»

للدكتور سعيد بن عطية أبو عالي عضو المجلس ورئيس لجنة التنسيق والاختيار

«حكاية اسمها النادي الأهلي.. ذكريات - محطات»

للأستاذ مبارك بن سعد العطوي عضو المجلس وأمين السر

حيث لاقت هذه الخطوة تقدير واستحسان الجهات والهيئات المحلية والخارجية، ويأتي ذلك التوجه ضمن استراتيجية الجائزة للتواصل مع الجميع من المهتمين بالشأن الثقافي والأدبي والمجالات العلمية الأخرى.

نموذج لشروط طلب الترشيح لجائزة كانو

جائزة يوسف بن احمد كانو

يسر جائزة يوسف بن احمد كانو أن تفتح باب الترشيح للمفكرين والباحثين والهيئات العلمية والجامعات من أبناء وبنات الأمة العربية للتنافس على الجائزة في دورتها السادسة 2010م في المجالات الآتية:

مجال الثقافة الإسلامية.. (المشترك الثقافي بين الشعوب):

تلتقي الديانات السماوية في مساحة مشتركة تدعو إلى تعزيز ونشر قيم كبرى مثل كرامة الإنسان والتسامح والحوار العمل ومكافحة الفقر والجهل والمرض.

وتدعيماً للتفاهم بين الشعوب فإن الجائزة تدعو إلى دراسة ملامح المشترك الثقافي بين الأديان من النواحي الدينية والحضارية وتحديد الأسس التي يمكن أن تعزز التفاهم المشترك.

مجال المال والاقتصاد.. (النظام الاقتصادي الإسلامي):

تعرضت شعوب العالم في الفترة الأخيرة لهزات مالية كبيرة كشفت عيوب النظام الرأسمالي الغربي ومنها عدم حمايته رأس المال وعدم الجدية في مكافحة الفقر والجهل والمرض.

وتعقد مؤتمرات دولية وندوات علمية في هذه الأيام لدراسة المشكلة واقتراح الحلول المناسبة على مستوى قادة العالم والجامعات ومؤسسات البحث العلمي.

وفي هذا الإطار برزت إيجابيات النظام الإسلامي وخاصة في مجالات تنمية رأس المال وحماية السوق ومساعدة الفقراء مما يدعو إلى اعتماد الإسلام أساساً فكرياً لبناء نظام اقتصادي عالمي. والجائزة تدعو إلى تأصيل النظرية الاقتصادية الإسلامية ومدى صلاحيتها للإنسان ولنمو الاقتصاد العالمي.

مجال العلوم.. (أزمة المياه في العالم العربي):

تتزايد الحاجة في العالم كله إلى استعمال المياه وتجمع مراكز البحوث على أن العالم سيعاني نقصاً حاداً فيها لأسباب أهمها نقص المياه. وازدياد الحاجة إليها وسوء أنظمة الري.

والبلاد العربية من أكثر الأقطار حاجة إلى المياه، ولذلك فإن الجائزة تدعو إلى دراسة هذه المشكلة في العالم العربي من حيث أسبابها وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية واقتراح الحلول المناسبة لمواجهتها على مدى المستقبل المنظور حتى سنة 2025م.

الشروط العامة:

1. ألا يكون العمل أو الأعمال المقدمة قد فازت بجائزة أخرى.
2. تقبل الكتب المنشورة في نفس الموضوع.
3. إرفاق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.
4. إرفاق سيرة ذاتية مفصلة وثلاث صور شخصية حديثة.
5. أن تكون جميع الأعمال باللغة العربية.
6. جميع الأعمال المقدمة تخضع للتحكيم العلمي.
7. جميع الأعمال المقدمة لا ترد لأصحابها.
8. قرارات مجلس أمناء الجائزة نافذة ولا تخضع للمناقشة.
9. تقبل الأعمال إلى نهاية شهر أغسطس 2010م.

المزايا:

1. منح الفائز أو الفائزة جائزة نقدية وقدرها خمسون ألف دولار أمريكي في كل مجال من المجالات المذكورة أعلاه. وعندما تتساوى الأعمال من حيث جودتها التي أكثر من متنافس في المجال الواحد فإن الجائزة تقسم بالتساوي.
2. منح كل فائز درع وشهادة تقدير.
3. يدعى كل فائز لزيارة مملكة البحرين وحضور حفل توزيع الجوائز والمشاركة في الأنشطة الثقافية المصاحبة.

جهات الترشيح:

1. تقبل الترشيحات من الجامعات ومراكز الأبحاث والمؤسسات العلمية.
2. يجوز للفرد ترشيح نفسه بإرسال أعماله وسيرته الذاتية إلى عنوان الجائزة مباشرة.
3. لا تقبل الترشيحات من الأحزاب السياسية والجهات الحكومية.

الرجاء إرسال جميع المكاتبات والاستفسارات باسم رئيس مجلس الأمناء وعلى العنوان الآتي:
ص. ب. 1170 المنامة - مملكة البحرين. رقم الهاتف: 17220829-00973 رقم الفاكس: 17226154-00973
البريد الكتروني: kanooawd@batelco.com.bh
مرحبا بكم في موقعنا على الانترنت: www.ybakanooaward.com

التفوق الإبداعي
لائحة يوسف بن أحمد

صعود نحو العطش

د. نبيلة زُباري

جَـــــــاء المـــــــطـــــــرْ ..
لـــكـــنّـــك رحـــلـــت ..
لم تـنـتـظـرْ أنْ أغـسـلَ روحـي بـكَ
أوْ أتـــطـــيّـــبَ مـــن صـــوتـكَ
فـــــجـــــاءَ المـــــطـــــرْ
رمـــاديـــاً .. حـــزيـــنـــاً ..
بـكـى عـلـى صـــدري .. مـعـي
وتـعـثـرتْ بـغـيـومـه عـيـنـاي ...
فـأنـتَ قـد جـمـعـتَ مـن وسـط يـدي
بـضـــعَ أوقـــــات جـمـيـلـة ..
طـويـتَـهـا في حـقـائـبـك
ولم تـــخـــبـرني ..
ولم تـعـطـنـي بـــدلاً مـنـهـا
حـزمَـة سـلام .. أو قـصـيـدة ..
تـــركـــتَـــنـــي ..
أقـفـلُ الجُـــرحَ بـطـيـفـكَ ..
نـــــأيـــــتَ
صـمـتُـكَ في مِـعْـطـفـك ..
نـــــأيـــــت
مـفـتـرضـاً روعـــةَ الـغـيـاب !!

× × × × ×

جـــــاء المـــــطـــــرْ ..
لـكّـنـك مـنـحـتـنـي الـغـربـةَ
وأخـــذتَ مـني نـبـضَ الـسّـفـرِ ..
فـكـانَ انـتـظـاري غـابـةً لا تنتهي
وكـــان المـســـاءُ صـعـوداً بي
نـحـو الـعـطـشْ ..
وكـانـتِ الـشـوارعُ لا تـزدادُ
إلا غـرقـاً بـوابـلٍ مـن شـوق
لمـرازيـبَ تـسـحُ الـسـكـون ...!

× × × × ×

جـاء المـطـرْ ... جـاء المـطـرْ
لـكـنّـك رحـلـتَ ..
وعـنـدمـا تـعـودُ
يـكـونُ المـطـرْ
قـدْ رحـلْ ...!!

الصْقـــرُ.. مُحَلِّقـــاً!!

عبد الرحمـــن محمـــد رفيـــع

إنّ غـــازي.. كَـيْـنُـونَـةٌ هُـوَ وَحْـدَهْ ... صِـنْـوُهُ لَـمْ يَـكُـنْ، وهَـيْـهـاتَ بَعْـــدَهْ

وكـتـــابٌ لا تَـسْـــأَلَـنْ عَـــنْ مَـدَاهُ ... فَمَـــداهُ لَـمْ يَبْـلُـغِ الـنـاسُ حَـدّهْ

شِـيَـمُ الـعـبـقـــريِّ تَـسْـكُـــنُ فـيـه ... وَجَـــدَتْـهُ لـهـا مـــلاذاً وعُـــدّهْ

شـــاعـرٌ كـــاتـبٌ فـنـــونُ بـديـعٍ.. ... الـكـثـيـــرون لا يَـمَـلّـــــونَ سَـــرْدَهْ

قَـلَـــمٌ: طَـيّـبَ الـنُـفُـــوسَ نَـــدَاهُ ... مثلمـــا الـروضُ، حـين يُـرْسِـلُ وَرْدَهْ

هـيّـــنُ لـيّـــنُ، فـــإنْ هَـــبّ يـومـاً ... فَمُـحـــالٌ خُـصُـــومُـهُ أنْ تَـصـــمُـدّهْ

كُـــلُّ سـاحٍ يَـخُـوضُـهـا، يَـتَـمـنّـى ... نِـــدُّهُ لَـــوْ أَتَـــى لِـيَـخْـطُـــبَ وُدّهْ

فـارسُ الـقَـولِ، سِـحْـرُهُ في يَـدَيْـهِ ... قاصِـــمٌ رَدّهُ لِمَـــنْ حَـــامَ ضِـدّهْ

أَيُـهـــا الـطـائـرُ المُـحَـلّـــقُ دَوْمـــاً ... في سمـــاءِ الـنجـــومِ، يَـشْـرحُ وَجْـدَهْ

أنْـــتَ مـن طـيـنـةِ الـعُـلا والأعـــالي ... منـــذ عَهْـــدِ الـصِـبـا، تَجَـاوَزَ رُشْـــدَهْ

لا ألـــومُ المـلـــوكَ تُـدْنِـيـكَ منها ... كُـــلُّ مَـلْـــكٍ بِكُـمْ، يُـؤَسِّـسُ مَجْـــدَهْ

ومـــزايـا إبْـــنِ الـقُـصـــيـبـيِّ كُـثْـرٌ ... دُرُّ بَـحْـــرٍ، مَـــنْ قـادرٌ أنْ يَـعُـــدّهْ؟

والـعَـطـايـا..مـن الـكـريمِ الـعَـطـايـا.. ... هُـوَ أدْرى فيَمـــنْ سَـيُـــودِعُ رِفْـــدَهْ